تقرير عقيدة السلف الصالح

وتفنيد شبه عباد القبور

كتبه

أبو حاتم خضر بن أحمد الخميسي الإثيوبي

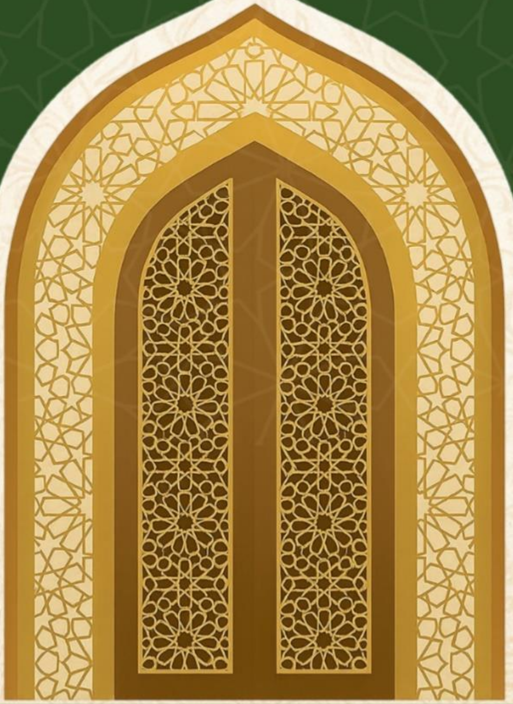

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة الفقيه المحدث

محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني

تقرير عقيدة السلف الصالح وتفنيد شبه عباد القبور

الطَّبْعَةُ الأولى

كتبه أبو حاتم خضر بن أحمد الخميسي الأثيوبي

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة الفقيه المحدث محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني

كلمة شكر وتقدير

أشكر أولا شكرا جزيلا شيخنا الفاضل المحدث الفقيه، أبا عبد الله محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني حفظه الله ورعاه، ومتعنا بعلمه، أن قدم لي الرسالة، وأسأل الله جل وعلا أن يمتعه بصحة وعافية، وأن يكرمه في الدارين، ثم أشكر أخي، الشيخ الفاضل، أبا عمار أول بن أحمد الخميسي، وأخي الأستاذ الفاضل، أبا أيمن، عبد الملك بن ياسين، أن شجعاني في كتابة هذه الرسالة، وتعاونا معي بشتى التعاون، ثم أشكر أخي الأستاذ الفاضل، أبا زكريا، سعيد بن رضوان، وأقول له أسعدك الله في الدارين، على تشجيعك لي في الأمر، وعونك لي في تخريج الرسالة، بشكلها الحاضر، فأقول أخيرا : وفق الله الجميع لكل ما يحب ويرضى.

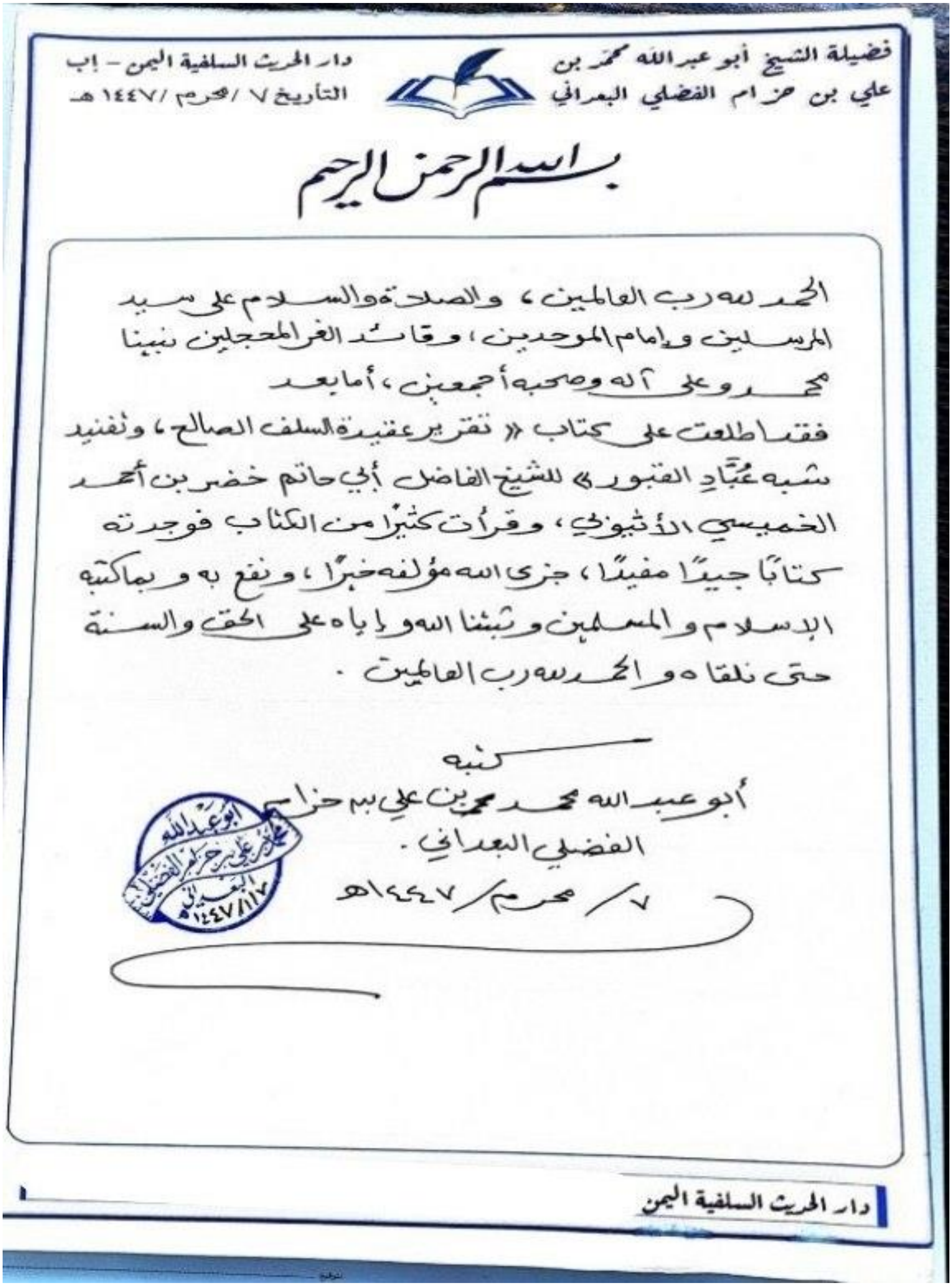

فضيلة الشيخ أبو عبدالله محمد بن
علي بن حزام الفضلي البعداني

دار الحديث السلفية اليمن - إب
التأريخ ٧ / محرم / ١٤٤٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام الموحدين، وقائد الغر المحجلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

فقد اطلعت على كتاب «تقرير عقيدة السلف الصالح، وتفنيد شبه عُبّادِ القبور» للشيخ الفاضل أبي حاتم خضر بن أحمد الخميسي الأثيوبي، وقرأت كثيرًا من الكتاب فوجدته كتابًا جيدًا مفيدًا، جزى الله مؤلفه خيرًا، ونفع به وبما كتبه الإسلام والمسلمين وثبتنا الله وإياه على الحق والسنة حتى نلقاه والحمد لله رب العالمين.

كتبه
أبو عبدالله محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني.
٧ / محرم / ١٤٤٧هـ

١٤٤٧/١/٧

دار الحديث السلفية اليمن

تقديم

فضيلة الشيخ

العلامة الفقيه المحدث محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني حفظه الله ورعاه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام الموحدين، وقائد الغر المحجلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد اطلعت على كتاب {تقرير عقيدة السلف الصالح، وتفنيد شبه عباد القبور} للشيخ الفاضل أبي حاتم، خضر بن أحمد الخميسي الأثيوبي، وقرأت كثيرا من الكتاب فوجدته كتابا جيدا مفيدا، جزى الله مؤلفه خيرا، ونفع به وبما كتبه الإسلام والمسلمين، وثبتنا الله وإياه على الحق والسنة حتى نلقاه والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الله محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني

٧ / محرم / ١٤٤٧ هجريا.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فهذه رسالة أعددتها لطلاب العلم، فيما يتعلق ببعض الأمور الاعتقادية التي كان السلف الصالح يعتقدونها ويتعبدون الله بها رب العالمين، وإزحاق شبه الصوفية والأحباش المثارة حول هذه العقيدة السلفية، وأسميتها: ⇇ تقرير عقيدة السلف الصالح، وتفنيد شبه عباد القبور ⇉ الله أسأل أن ينفع بها كاتبها وقارئها ودارسها، ومن اعتنى بها أيما اعتناء، ويجعلها لي ولهم ذخرا يوم الدين، وهو على كل شيء قدير.

سؤال وجواب:

أولا أحب قبل شروعي في صميم الموضوع تقديم مقدمات مهمة على شكل سؤال وجواب.

س١: ما هو التوحيد؟

الجواب: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به من الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: ٦٥].

س٢: ما هو توحيد الربوبية؟

الجواب: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله، كالخلق والرزق والملك والتدبير وغير ذلك من أفعاله، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

س٣: ما هو توحيد الألوهية؟

الجواب: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

س٤: ما هو توحيد الأسماء والصفات؟

الجواب: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى ووصف به نفسه، وسماه ووصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام من الأسماء والصفات، مما ثبت في الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]،وقوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [النحل: ٦٠]، أي: الوصف الأكمل، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ (٤) ﴾ سورة الإخلاص.

س٥: ما هو الشرك؟

الجواب: الشرك هو تسوية غير الله مع الله فيما يختص به جل جلاله، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

س٦: هل هناك خالق غير الله مع الله؟

الجواب: لا، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [سورة الطور: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

س٧: هل يجوز صرف العبادة لغير الخالق؟

الجواب: لا يجوز، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

س٨: ما هي العبادة؟

الجواب: العبادة في اللغة هي التذلل، قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، بعد ذكره ما ذكر:" لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة وأنها تسمي الطريق المذلل الذي قد وطئته الأقدام وذللته السابلة معبدا ". انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وفي اصطلاح الشرع: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة مثل الصلاة والزكاة والنية، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

س٩: هل الدعاء عبادة؟

الجواب : نعم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ٥] ، ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]، وفي الآيتين تسمية الله الدعاء عبادة ،ومن السنة ما رواه أبو دود من حديث النعمان بن بشير– رضي الله

عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿الدعاء هو العبادة﴾، ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠][1].

س ١٠: ما حكم صرف الدعاء لغير الله؟

الجواب: هو شرك بالله، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠]، أي: في الدعاء ولو كان المدعو ملكا مقربا، أو نبيا مرسلا، أو وليا من أولياء الله، لأنهم كلهم دون الله، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ ..... الآية﴾ [الأحقاف: ٥].

---

[1] رواه "أحمد" في "المسند" (١٨٣٥٢)، و" البخاري" في "الأدب المفرد" (٧١٤)

شبهات وجوابها

وبعد هذه المقدمات ندخل في صميم الموضوع قائلين إن هناك شبهات كثيرة ترد علينا من قبل الصوفية والأحباش وهي كالتالي

ش١ : إذا قال لك من لم يتقيد من الصوفية والأحباش لفهمه الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح: من هم السلف الصالح؟

الجواب: فقل له مستعينا بالله: هم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، والدليل على ذلك قول رسول الله عليه الصلاة والسلام من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: ﴿خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ﴾[٢]، قلت: وهذه الخيرية صدرت من الرسول عليه الصلاة والسلام مطلقة غير مقيدة بشيء، إذن، يجب على من جاء بعدهم سلوك هذا المنهج الخيري الذي درج عليه أصحاب القرون الثلاثة، وهذا المنهج فيه نجاة في الدنيا والآخرة.

---

[٢] صحيح البخاري (٣/ ١٧١). ومسلم ٢١٤

ش٢: إذا قال لك الصوفي أوغيره: لرد فهم السلف الصالح ما حكم فهمهم شرعا ؟

الجواب: فقل له: الحكم الشرعي فيه الوجوب، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ [سورة البقرة: ١٣٧]، ومن السنة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،﴾[٣].

وجه الدلالة من الآية: أن من لم يؤمن بمثل ما آمن به الصحابة من الفهم لكتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فهو غير مهتد للشريعة الغراء.

والشاهد من الحديث إطلاق النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الخيرية بدون تقييد، وهذا يفهمنا كون فهم أصحاب القرون الثلاثة للشريعة الغراء مستقيما غير سقيم، من هنا وجب علينا التمسك بفهم هؤلاء القوم حتى تثبت الخيرية المطلقة فينا كما ثبتت فيهم، فمن لم يقيد فهمه للكتاب والسنة بفهم السلف الصالح لم تثبت فيه الخيرية، بل ثبتت فيه الغواية، نسأل الله السلامة والعافية من الغواية.

---

[٣] البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)

ش٣: إذا قال لك الصوفي: لجعل العقل قائدا، وإماما، ومصدرا لتلقي العقيدة، ما هو مصدر تلقي العقيدة في دين الإسلام؟

الجواب : فقل له: الكتاب والسنة والإجماع دون العقل،والدليل على ذلك قوله تعالى :﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] ،ولم يقل الله جل جلاله: فردوه إلى العقل، وإنما قال: فردوه إلى الله والرسول فحسب، ثم علق هذا الرد بالإيمان به واليوم الآخر، فالرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إلى النبي عليه الصلاة والسلام نفسه في حال حياته وإلى سنته بعد وفاته، ومفهوم هذه الآية دال على حجية الإجماع إذا لم يختلفوا في شيء من أمور الدين أصولها وفروعها، وهناك دليل آخر يدل على حجية الإجماع، قال الرب جل جلاله :﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١١٥] ،توعد الله في هذه الآية على من خالف سبيل المؤمنين الأولين أي: إجماعهم بأن يوليه ما تولى ويقحمه في النار، وهذا يدل على حجية الإجماع أيضا، وهناك أيضا دليل آخر من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ ، وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ﴾[٤] .

---

[٤] الترمذي (٢١٦٧)

ش٤: إذا قال لك الصوفي: مستنكرا للمعنى الصحيح للا إله إلا الله، ومثبتا لمعنى فاسد لها، ما معنى لا إله إلا الله؟

الجواب : فقل له: المعنى الصحيح لهذه الكلمة الطيبة لا معبود بحق إلا الله والدليل على صحة ما قلنا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، قال الإمام الطبري في تفسير الآية : يعني تعالى ذكره بقوله :﴿ذَٰلِكَ﴾ هذا الفعل الذي فعلت من إيلاجي الليل في النهار وإيلاجي النهار في الليل لأني أنا الحق الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ند، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلها من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء، بل هو المصنوع، يقول لهم تعالى ذكره: أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شيء وكل شيء دونه، وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته ؟،انتهى المقصود.

إذن الرب هو المعبود حقا وحده لا شريك له وهذا هو المعنى الصحيح للا إله إلا الله، وقال في تفسير الآية نفسها من تحشرونه في زمرتكم القرطبي: قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، ذلك بأن الله هو الحق، أي: ذو الحق فدينه الحق وعبادته حق، والمؤمنون يستحقون منه النصر بحكم وعده الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، أي: الأصنام التي لا استحقاق لها في العبادات. انتهى المقصود من كلامه.

تأمل أيها الصوفي في قول من تنتمي إليه، وهو القرطبي ذلك ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: ذو الحق فدينه الحق وعبادته حق إذن، أفادك القرطبي ما أفدناك من معنى كلمة لا إله إلا الله، ألا وهو لا معبود بحق إلا الله، هل من مسلم منكم الآن بالقبول؟

وقال الإمام الطبري رحمه الله تعالى أيضا في تفسير آية: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، وأما تأويل قوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فإنه نفى أن يكون شيء يستحق العبودة غير الواحد الذي لا شريك له في ملكه. انتهى المقصود من كلامه رحمه الله تعالى.

وهذا التفسير الصادر من الإمام الطبري للآية يقرر معنى كلمة، ﴿لا إله إلا الله﴾، ألا وهو لا معبود بحق إلا الله تعالى، إذن، نحن متقيدون في فهمنا للكلمة الطيبة بفهم السلف الصالح إذ الطبري من جملة أئمة السلف لأنه متوفى في عام (٣١٠) هجريا، ومن فسر الكلمة الطيبة بغير هذا التفسير فهو ضال غاو عن منهج الكتاب والسنة وعن فهم سلف هذه الأمة.

ش٥: إذا قال لك الصوفي: تمهيدا لإثبات جواز الاستغاثة بالأموات، إن الموتى يسمعون سماعا مطلقا، مستدلا بحديث أنس بن مالك قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: العبد إِذَا وُضِعَ في قَبْرِه، وتُوُلِّيَ وذَهَبَ أصْحَابُهُ حتَّى إنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أتَاهُ مَلَكَانِ، فأقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ له: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ ..... الحديث.

الجواب: فقل له: لا يسمعون سماعا مطلقا، وإنما يسمعون سماعا مقيدا، والدليل على ذلك الحديث المذكور نفسه قال أنس رضي الله عنه: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم:

﴿العبد إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وتُوُلِّيَ وذَهَبَ أَصْحَابُهُ حتَّى إنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، ..... الحديث﴾[٥] ولفظه للبخاري.

وهذا الحديث يدل دلالة واضحة كالشمس على أن سماع الموتى سماع مقيد، وليس مطلقا، ولو كان مطلقا لما احتاج النبي عليه الصلاة والسلام إلى قيد سماع العبد الموضوع في قبره بقرع نعال أصحابه المتولين عنه بعد دفنه في الحديث نفسه؛ بينما أنت أثبت له سماعا مطلقا، إذن، ما فائدة تقييد سماع الميت بقرع نعال أصحابه المتولين عنه في الحديث إذا كان سماعه سماعا مطلقا؟ مع كون هذا القيد النبوي يخرج من لم يحضر دفن الميت أصلا، ويخرج أيضا الحاضرين دفنه بعد انصرافهم عن القبر تبعا، ومع هذا فكيف يفهم هذا الحديث المقيد بمثل هذا القيد بلا قيد؟

ولما احتاج النبي عليه الصلاة والسلام أيضا إلى قيد السماع بكلمة ﴿الآن﴾، في حديث ابن عمر قال: ﴿أن النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ وقف على قليبِ بدرٍ فقال: هل وجدتم ما وعَدكم ربُّكم حقًّا؟ ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول فذكر لعائشة، فقالت: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [سورة الروم: ٥٢]حتى قرأت الآية﴾[٦]، قلت: وهذا

---

[٥] أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠)

[٦] وفي رواية أخرى ذُكِرَ عِنْدَ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها أنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إلى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ في قَبْرِهِ بِبُكاءِ أهْلِهِ، فقالَتْ: وَهَلَ؛ إنَّما قال رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّه لَيُعَذَّبُ بخَطِيئَتِهِ وذَنْبِهِ، وإنَّ أهْلَهُ لَيَبْكُونَ عليه الآنَ، قالَتْ: وذاكَ مِثْلُ قَوْلِهِ: إنَّ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قامَ علَى القَلِيبِ وفيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فقالَ لهمْ ما قالَ: إنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ ما أقُولُ، إنَّما قالَ: إنَّهُمُ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أنَّ ما كُنْتُ أقُولُ لهمْ حَقٌّ، ثُمَّ قَرَأَتْ ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾

الحديث أيضا يدل دلالة بينة على سماع الموتى مقيدا في الزمن الحاضر الذي كلمهم فيه النبي عليه الصلاة والسلام، لأن كلمة ﴿الآن﴾ تدل على الزمن الحاضر دون الزمن المطلق حتى نقول إن الموتى يسمعون سماعا مطلقا مع كون مفهوم جواب النبي عليه الصلاة والسلام يقرر عدم سماعهم قبل الزمن الحاضر وبعده، لو لم يكن كذلك لبطل معنى القيد ب ﴿الآن﴾، ولكان القيد والإطلاق سواء، وهذا مما لا يقول به عاقل، فضلا عن من شم رائحة العلم.

وفي رواية أخرى من حديث أنس بن مالك عن أبي طلحة: ﴿قال عمرُ يا نبيَّ اللهِ ما تُكلِّم من أجسادٍ لا أرواحَ فيها قال والذي نفسُ محمدٍ بيده ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم قال قتادةُ أحياهم اللهُ له حتى سمعوا كلامَه توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندما﴾[٧].

إذن، الإسماع الحاصل من الرب جل جلاله لكلام النبي عليه الصلاة والسلام أصحاب القليب يعتبر معجزة له عليه الصلاة والسلام، بدليل أن عمر رضي الله عنه أردف سؤاله عقب تكليم النبي عليه الصلاة والسلام لموتى القليب قائلا: ﴿يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها﴾، لأن الأصل والمتعارف بين الصحابة عدم سماع الموتى، لو لم يكن كذلك لما لاق للخليفة الثاني عمر إيراد السؤال بما ذكر في الحديث، ويدل أيضا على أنه معجزة للرسول عليه الصلاة والسلام قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث ﴿ما أنتم بأسمع لما أقول منهم﴾، لأن هناك فرقا بين الحي والميت، كما قال الله جل وعلا :﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢]، لا شك عند جميع العقلاء أن الحي أسمع

[النمل: ٨٠]، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، يقولُ: حِينَ تَبَوَّؤُوا مَقاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ. أخرجه البخاري (٣٩٧٨، ٣٩٧٩)، ومسلم (٩٣٢)

[٧] أخرجه البخاري (٣٧٥٧) وأحمد (١٢٤٧١) بلفظه

من الميت بدون احتياج المقارنة، ويدل أيضا على أنه معجزة للرسول عليه الصلاة والسلام تفسير قتادة إن قلنا بقوله، قال قتادة "أحياهم الله له حتى أسمعهم توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما"، وجه الدلالة من كلامه كون أهل القليب أسمع ممن شاهد من الصحابة تلك الواقعة مع كون الفريقين حيين حاضرين في مكان واحد، بل كان عمر وغيره أقرب إلى النبي عليه الصلاة والسلام مكانا من أهل القليب، ولو لم يكن هذا الأمر معجزة للرسول عليه الصلاة والسلام لما ساغ كون الأبعد مكانا وهم أهل القليب أسمع من الأقرب مكانا وهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، لذا تعين علينا القول بأنه معجزة حاصلة من الله للرسول عليه الصلاة والسلام، بحيث لا يتناول أحدا بعده عليه الصلاة والسلام، ويدل أيضا على أنه معجزة له عليه الصلاة والسلام عدم ثبوته عن أحد من الصحابة في حياته وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وبهذا التقرير يندفع ما أثارته الصوفية والأحباش من الشبه حول هذا الموضوع بتوفيق رب العالمين وإله المرسلين.

ش٦: إذا قال لك الصوفي: هل الموتى يعلمون ما يقع في هذا الكون؟ استنكارا على من يقول بعدم علمهم.

الجواب: فقل له إنهم لا يعلمون، والدليل على ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ :﴿لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوضَ رِجَالٌ حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ رُفِعُوا إِلَيَّ، فَاخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا

أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ﴾[8]، وفي هذا الحديث عدم دراية النبي عليه الصلاة والسلام لما يقع في هذا الكون بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، بل في حياته ما كان يدري لما لم يشاهده إلا بإعلام الله له، قال الله جل ذكره:﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن:٢٦]، ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧]، لو كان يدري ما يقع في هذا الكون لما كان للقول في آخر الحديث ﴿إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك﴾ معنى، قال القرطبي شارحا للحديث في كتابه﴿التذكرة في أحوال الموتى والدار الآخرة﴾ (٣٥٢): "قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه،وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع." انتهى المقصود من كلامه.

وقال الشاطبي في كتابه ﴿الاعتصام﴾ (٩٦/١): "والأظهر أنهم داخلون في غمار هذه الأمة لأجل ما دل على ذلك فيهم، وهو الغرة والتحجيل لأن ذلك لا يكون لأهل الكفر المحض كان كفرهم أصلا أو ارتدادا، ولقوله ﴿قد بدلوا بعدك﴾، ولو كان الكفر لقال ﴿قد كفروا بعدك﴾، وأقرب ما يحمل عليه تبديل السنة ،وهو واقع على أهل البدع، ومن قال إنه النفاق فذلك غير خارج عن مقصودنا، لأن أهل النفاق إنما أخذوا الشريعة تقية لا تعبدا، فوضعوها غير مواضعها، وهو عين الابتداع، ويجري هذا المجرى كل من اتخذ

---

[8] أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

السنة والعمل بها حيلة وذريعة إلى نيل حطام الدنيا لا على التعبد لله تعالى، لأنه تبديل لها وإخراج لها عن وضعها الشرعي." انتهى المقصود من كلامه.

والدليل عليه أيضا أثر عائشة رضي الله عنها، قالت: "لَوْ أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ رَأَى ما أحْدَثَ النِّساءُ لَمَنَعَهُنَّ المَسْجِدَ كما مُنِعَتْ نِساءُ بَنِي إسْرائِيلَ. قالَ: فَقُلتُ لِعَمْرَةَ: أنِساءُ بَنِي إسْرائِيلَ مُنِعْنَ المَسْجِدَ؟ قالَتْ: نَعَمْ"[٩].

وفي هذا الحديث أيضا عدم علم النبي عليه الصلاة والسلام بعد موته، حيث إن عائشة رضي الله عنها نفت الرؤية عنه بعد موته عليه الصلاة والسلام في الحديث بقولها " لو أن رسول الله عليه الصلاة والسلام رأى ما أحدث النساء ... الحديث "، إذ؛ إن انتفاء الرؤية هنا مستلزم لانتفاء العلم.

وهناك دليل آخر من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿إنَّ لله ملائكةً سيَّاحينَ في الأرضِ يُبلِّغوني عن أُمَّتي السلامَ﴾[١٠]. وصححه الإمام الألباني في صحيح الجامع والإمام مقبل الوادعي في الصحيح المسند.

هذا الحديث يقرر كون النبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم ما يدور في هذا الكون وهو في قبره، لو لم يكن كذلك لما احتاج إلى تبليغ الملائكة السلام الواقع من أمته إليه لكونه مطلعا بنفسه، وإذا قيل إنه مبلغ من قبل الملائكة السياحين السلام الواقع من أمته مع كونه مطلعا بنفسه فقيل: إذن، صار الأمر تحصيل الحاصل، وهذا تطويل وإسحاب بلا فائدة مع تنزه الشارع الحكيم من مثل هذا الكلام الساذج.

---

[٩] أخرجه البخاري (٨٦٩)، ومسلم (٤٤٥).

[١٠] أخرجه النسائي (١٢٨٢)، وأحمد (٣٦٦٦)

وبهذا التقرير يتحقق لطالب الحق عدم علم من دون النبي عليه الصلاة والسلام من الأموات والغائبين لما يدور في هذا الكون بطريق أولى، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

ش٧: إذا قال لك الصوفي: إن الموتى يرون الأعيان الموجودة والأفعال الواقعة من الأحياء في الدنيا، وهم في قبورهم تحت الأرض، بدليل حديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت: كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبي، فأضع ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر، الشاهد من الحديث حياء عائشة من عمر، لاعتقادها أنه يراها بما أنه في القبر، لو لم يكن كذلك فما علة حيائها منه ؟

الجواب : فقل له: أولا إن هناك حديثا مقطوعا بصحته في الصحيحين، وهو الحديث المتقدم من حديث أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوضَ رِجَالٌ حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ رُفِعُوا إِلَيَّ، فَاخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ﴾[١١]، وفي رواية لهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي فَرَطُكُمْ

---

[١١] أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

علَى الحَوْضِ، مَن مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، ومَن شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقْوامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحالُ بَيْنِي وبيْنَهُمْ. قالَ أبو حازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمانُ بنُ أبِي عَيَّاشٍ، فقالَ: هَكَذا سَمِعْتَ مِن سَهْلٍ؟ فَقُلتُ: نَعَمْ، فقالَ: أشْهَدُ علَى أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، لَسَمِعْتُهُ وهو يَزِيدُ فيها: فأقُولُ إنَّهُمْ مِنِّي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ، فأقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن غَيَّرَ بَعْدِي﴾[12].

وهناك أثر متقدم عن عائشة قالت: ﴿لو أن رسول الله عليه الصلاة والسلام رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل... الحديث﴾ أخرجه مسلم.

قلت: وهذه الأدلة تبين عدم رؤية أشرف الخلق عليه الصلاة والسلام الأعيان والأفعال الموجودة في هذه الدنيا، لو كان معاينها لما حصل الحوار المذكور في الحديثين المتقدمين بينه وبين الملائكة، بحيث يقول النبي عليه الصلاة والسلام في الرواية الأولى: ﴿أصحابي أصحابي﴾ وفي الثانية ﴿فأقُولُ إنَّهُمْ مِنِّي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ، فأقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن غَيَّرَ بَعْدِي﴾[13]، أفبمثل هذا الكلام ينطق من سبق علمه بما ينطق به؟

الجواب: لا، وإن قال لنا الصوفي: نعم، ينطق به، فنقول له: إذن، يلزمك وصفك النبي عليه الصلاة والسلام بالكذب لنطقه يوم القيامة بخلاف ما علمه عليه الصلاة والسلام في الدنيا: حيث قال: ﴿أصحابي أصحابي﴾ وقال: ﴿فأقول إنهم مني﴾، ويلزمك أيضا كونه عليه الصلاة والسلام مدافعا ومجادلا عن هؤلاء المغيرين والمحدثين، وهذا ما نهاه الله جل وعلا عنه بقوله، ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[النساء: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧]، وهذا أعني، وصف النبي عليه

---

[12] أخرجه مسلم (٢٢٩٠، ٢٢٩١) باختلاف يسير

[13] أخرجه مسلم (٢٢٩٠، ٢٢٩١) باختلاف يسير

الصلاة والسلام بالكذب لا يقول به مسلم، لأن أشرف الخلق موصوف بغاية الصدق في قيد حياته وبعد وفاته، ومن وصف النبي عليه الصلاة والسلام بالكذب فمتعين كفره.

وفي أثر عائشة رضي الله عنها أيضا نفي صريح لرؤية النبي عليه الصلاة والسلام الأعيان والأفعال الموجودة في هذه الدنيا، إذن، ما أتى به الصوفي لا يكون إلا مجرد شبهة خالية عن الأدلة، بل هو خلاف الأدلة الشرعية.

إذن، يتعين على الصوفي الوقوف، حيث وقف عليه النص من أن النبي عليه الصلاة والسلام وغيره من الأموات لا يرون شيئا مما في الدنيا للأدلة السابقة الساطعة.

وإذا سألك الصوفي قائلا: على ماذا يحمل حديث عائشة المتقدم؟ فقل له يحمل على محامل:

أولا : قل له قبل الشروع في ذكر المحامل: عدم وجود لفظ مثبت رؤية عمر لعائشة وهو في القبر في الحديث يجعل الحديث مطروقا بالاحتمالات، بخلاف الحديث الذي ذكرناه «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»، لأن عدم الدراية نتيجة لعدم الرؤية، فثبوت الرؤية مستلزمة لثبوت الدراية، وهذا أمر جلي للغاية، إذن، قل له إذا أثبت رؤية الميت ما في الدنيا، فيجب عليك إثباتك له الدراية ما فيها، وإن أثبت له الدراية، فيرد عليك الحديث «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»، والحديث يثبت عدم دراية أشرف الخلق وهو في قبره ،وأنت تثبت الدراية لجميع الأموات وهم في قبورهم، إذن، أيكما أحق بالحق أأنت أم الحديث ؟

وبخلاف حديث عائشة رضي الله عنها الذي قالت فيه: ﴿لو أن رسول الله عليه الصلاة والسلام رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد ... الحديث﴾، إذ؛ إن في الحديث نفي أم المؤمنين عائشة نفسها رؤية النبي عليه الصلاة والسلام للأحياء بعد موته نصا، فضلا عن

إثباتها رؤية عمر لها بعد موته، وهي تنفي ذلك يقينا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأنت تثبت إثباتها ذلك لعمر وهما منك، وصاحب البيت أدرى بما فيه.

وقل له: فالآن نتطرق في ذكر الاحتمالات الواردة على حديث عائشة الذي استدللت به.

➥ **الاحتمال الأول**: قل له: نقول لك افتراضا: إن كان ما فهمته من الحديث فهما لعائشة أم المؤمنين من أن النبي عليه الصلاة والسلام وأبا بكر وعمر يرونها وهم في قبورهم، فيكون هذا الفهم فهما تفردت به رضي الله عنها، كما نص على ذلك الإمام الألباني رحمه الله تعالى، للأدلة المتقدمة ﴿فأقُولُ إنَّهُمْ مِنِّي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ، فأقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن غَيَّرَ بَعْدِي﴾، و﴿إنَّ لِلَّهِ ملائِكةً سيَّاحينَ يبلِّغوني عن أمَّتيَ السَّلامَ﴾[14] ، وهذا في حق النبي عليه الصلاة والسلام فما بالك في حق عمر.

إذن، إذا لم يدر النبي المختار عليه الصلاة والسلام ما يجري في هذه الدنيا، فعدم دراية عمر أولى بلا نزاع، وإذا انتفت الدراية عن عمر رضي الله عنه، فانتفاء الرؤية عنه أمر بين، لأن الرؤية مستلزمة للدراية من غير عكس، أعني أن الدراية لا تستلزم الرؤية.

➥ **الاحتمال الثاني**: نقول له: يحتمل كون تشديد عائشة لثيابها حياء من عمر، استمرار حيائها الذي كان عندها قبل موته واستمرت عليه بعد أن دفن في بيتها لتنال غاية الأدب لا لأنه يراها كما تقرر قبل قليل، وإن قيل: حصول تشديد

---

[14] أخرجه النسائي (١٢٨٢)، وأحمد (٣٦٦٦)

عائشة ثيابها هو خشية رؤية عمر لها، فقلنا إذن، صار الأمر طعنا من عائشة في عرض الخليفة الثاني عمر وظنا سوء منها به، إذ خشيت عائشة نظره المحرم إليها بعد موته، وهو في قبره على فراش من الجنة، وهذا مما لا يليق صدوره من غير عمر، فضلا عن عمر. وتقييدنا النظر بالنظر المحرم يفيدنا بأن هناك نظرا غير محرم، ألا وهو نظر الفجأة، وهذا غير منهي عنه، لأنه فوق الاستطاعة، قال الله جل وعلا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ [الطلاق: ٧]، مع ثبوت هذا الأمر بجلاء عن النبي عليه الصلاة والسلام من حديث بريدة بن الحصيب، حيث قال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: ﴿يا علِيُّ، لا تُتبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فإنَّ لك الأُولى، وليست لك الآخِرةُ﴾[١٥]، أخرجه الترمذي وأبو داود وحسنه الإمام الألباني.

إذن، نظر الفجأة مما لا يندرج تحت مقدرة العبد، فإذا كان كذلك، فالعبد غير مكلف فيه، فإذا لم يكلف فيه، فهو أي: نظر الفجأة غير منهي عنه، فإذا لم ينه عنه، فما معنى تشديد أم المؤمنين عائشة ثيابها؟ قلت: ليس هناك أي معنى إلا طعن أم المؤمنين عائشة في عرض أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وهذا هو الناتج من الحديث بفهم الصوفي له، فنقول له: هذا الطعن يرجع طعنا منك في أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وأرضاه، وليس طعنا من أم المؤمنين عائشة فيه؛ لعدم ثبوت فهمها للحديث كفهمك السقيم، بل الميت؛ ولكونها ذات حياء

---

[١٥] أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وأحمد (٢٢٩٩١)

شديد منه، كما ثبت في الحديث نفسه، إذن، فكيف يتصور منها الطعن فيه أي: في عمر، وهو بهذه المثابة عندها في الحياء منه رضي الله عنه؟

وهذا الأمر أيضا أعني، خشية عائشة نظرة عمر إليها، وهو في قبره يستلزم ثبوت تكاليف الشريعة على العباد في البرزخ، إذ لو حصلت نظرته المحرمة إلى عائشة رضي الله عنها لصار مسؤولا بها، لو لم يكن كذلك فما معنى اتقاء أم المؤمنين نظرته إليها؟

وهذه المقدمات الصادرة من الصوفي أي: مقدمات محاولة إثبات سماع الميت وعلمه ورؤيته إنما أتى بها لإثبات الاستغاثة الشركية، بأن يجيز الاستغاثة بالأموات الذين لا ينفعون ولا يضرون، حيث يقول لك:

ش ٨ : إذا تقرر لدينا سماع الميت وعلمه ورؤيته كما سلف تقريره، إذن، يجوز لنا أن نستغيث بالأموات، بما عندنا دليل مستقل في هذا الصدد، ألا وهو قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ .....الآية ﴾ [القصص: ١٥] وحديث الأعمى الذي أخرجه الترمذي وغيره من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال : إن رجلا ضرير البصر أتى النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال : إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال : فادعه، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء، اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في.

الجوب : فقل له: لم يتقرر ما أردت تقريره، بل تقرر خلافه، كما بينا سابقا، أما الآية التي أوردتها، فليس فيها أدنى دلالة على مرادك، لأنها في صدد جواز الاستغاثة بالحي القادر الحاضر دون الميت الذي فارق الحياة، لأن موسى عندما استغيث به كان حيا قادرا حاضرا، وموثق ذلك قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ

عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٥]، الشاهد من الآية التقاء موسى بمن يستغيث به ويستغاث عليه وحضوره عندهما مع قدرته على وكز من استغيث عليه حتى قتله بوكزه إياه، وهذا الأمر من الآية صريح للغاية، بخلاف الاستغاثة بالميت، إذن، الآية ليس لها أي صلة بالاستغاثة بالميت المخالف للحي؛ لأنها في ذكر الاستغاثة بالحي دون الميت مع حصول الفرق بين الحي والميت؛ لأن الميت يموت ببدنه وحركاته، بحيث لا يكون له بهما تعلق بهذه الحياة، وإنما تعلقه بهما بالحياة البرزخية والأخروية، فمن ادعى غير ذلك فعليه بالحجة والبرهان.

وأما حديث الأعمى فأبعد ما يكون له تعلق بالاستغاثة؛ لأنه ليس فيه ذكر معنى الاستغاثة، فضلا عن لفظها، فإن غاية ما يوهمه هو التوسل بذات النبي عليه الصلاة والسلام في حياته قبل وفاته، والحق الذي لا مرية فيه لمن تدبر الحديث سابقه ولاحقه بلا تحيز للآراء والأشخاص عدم دلالة الحديث على التوسل بذات النبي عليه الصلاة والسلام، فضلا عن الاستغاثة به بعد موته، وها هو تحقيق ذلك بتوفيق الله جل جلاله.

ومما يدل على بطلان دلالة الحديث على التوسل بذات النبي عليه الصلاة والسلام قول الأعمى مع جواب النبي عليه الصلاة والسلام في أول الحديث: ﴿يا نبيَّ اللهِ ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال: فادعه﴾[١٦]، إذن، الحديث في صدد طلب الأعمى دعاء النبي عليه الصلاة والسلام ربه له، إذ؛ لو كان متوسلا بذاته عليه الصلاة والسلام لم يكن لائقا له إتيانه إليه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه

---

[١٦] أخرجه ابن خزيمة (٢/٢٢٥)، والطبراني (٩/١٧)، والحاكم في ((المستدرك)) (١/٧٠٧) باختلاف يسير.

يمكن توسله بذاته عليه الصلاة والسلام، وهو في بيته بدون إتيان إليه، كما هو فعل المتوسلين اليوم من الصوفية المعاصرة وغيرها بذاته عليه الصلاة والسلام، إذن، إتيان الأعمى إليه عليه الصلاة السلام لا يدل إلا على طلبه دعاءه عليه الصلاة والسلام ربه له، وكذلك ما كان ينبغي للأعمى _أيضا_ أن يقول للنبي عليه الصلاة والسلام: ﴿ادع الله أن يعافيني﴾؛ لأن هذا الطلب ينافي التوسل بالذات، إذ؛ إن صيغة التوسل الذاتي يختلف من صيغة التوسل الدعائي؛ لأن صيغة التوسل الذاتي تصدر ممن تصدر منه بهذه الصيغة: ﴿اللهم إني أتوسل إليك بذات نبيك﴾، أو ﴿بنبيك﴾، بدون قرينة سابقة أو لاحقة في الكلام، بحيث تصرف الكلام عن هذا المعنى، وصيغة التوسل الدعائي تصدر ممن تصدر منه بصيغة أخرى، وهي: ﴿يا فلان ادع الله أن يعافيني﴾، أو ﴿أن يرزقني﴾، ونحو هذه الصيغ إذا كان الفلان حيا حاضرا قادرا على الدعاء، إذن، تقرر عندنا اختلاف الصيغتين، وإذا تقرر ذلك فيكون بطلان دلالة الحديث على التوسل الذاتي والاستغاثة الصوفية ظاهر البطلان .

ويدل أيضا على بطلان دلالته على التوسل بالذات وعد النبي عليه الصلاة والسلام، بأن يدعو الله للأعمى إن شاء ذلك، فقد شاءه بقوله في الحديث:﴿فادعه﴾، والنبي عليه الصلاة والسلام سيد من وفى وعده، إذن، ثبت قطعا الدعاء منه عليه الصلاة والسلام له، فإذا ثبت الدعاء من النبي عليه الصلاة والسلام له، فتعين انتفاء توسل الأعمى بذات النبي عليه الصلاة والسلام دون توسله بدعائه صلى الله عليه وسلم.

فقول الأعمى: ﴿اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك﴾، أي : بدعاء نبيك، وليس بذات النبي عليه الصلاة والسلام، إذ؛ سبق طلب الأعمى الدعاء من النبي عليه الصلاة والسلام في أول الحديث قائلا :﴿ادع الله أن يعافيني﴾، ومعنى كلامه أيضا: ﴿يا محمد إني أتوجه بك﴾، أي: بدعائك؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام دعا له قطعا،كما سبق

تحقيقه، إذن، توجه الأعمى بالنبي عليه الصلاة والسلام يكون بدعائه؛ لأننا نراعي في تعيين المراد من الحديث سابقه ولاحقه دون الانفراد بأحدهما؛ لأنه ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام مثله من حديث سعد بن أبي وقاص، حيث قال: ﴿إنما ينصرُ اللهُ هذه الأمةَ بضعيفِها بدعوتِهم وصلاتِهم وإخلاصِهم﴾[17].

نقول للصوفي: هل هذا الحديث يفيد مشروعية التوسل بذوات ضعفاء المسلمين؟ فإن قال: نعم، فنقول له: إذن، ما معنى قول رسول الله عليه الصلاة والسلام في الحديث نفسه: ﴿بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم﴾، وإن قال: لا، فنقول له أيضا: إذن، حديث الأعمى لا يفيد ذلك، إذ أول الحديث في صدد طلب الأعمى من النبي عليه الصلاة والسلام أن يدعو الله له، وآخر الحديث يضبط بأوله، كما ضبط أول هذا الحديث بآخره، إذن، نراعي في فهم الحجة السابق واللاحق.

ومعنى كلامه أيضا: ﴿اللهم فشفعه في وشفعني فيه﴾، أي، استجب دعاءه في، واستجب دعائي فيه؛ لأن الشفاعة تأتي بمعنى الدعاء، كما قال ابن منظور في لسان العرب، وروي عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، الشفاعة الدعاء ههنا، والشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره. انتهى المقصود من كلامه.

قلت: نستفيد من كلام المبرد وثعلب وابن منظور كون الشفاعة المذكورة في حديث الأعمى بمعنى الدعاء؛ لأن الشفاعة كلام الشفيع للملك يسأله لغيره، إذن، الشفاعة متضمنة للكلام والسؤال، فإذا تضمنت الكلام والسؤال فتصير بمعنى الدعاء، دون أن تكون توسلا بالذات.

---

[17] أخرجه النسائي (٣١٧٨) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٢٨٩٦) باختلاف يسير

ونقول أيضا للصوفي، هل التوسل بالذات أفضل أم عدمه؟ فإن أجاب بالأول، فقل له: لماذا أهمل الله في كتابه التنصيص عليه؟ بل الإشارة إليه؟ بما أن القرآن يهدي للتي هي أقوم، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ولماذا حث الله جل وعلا عباده في دعائهم إياه بدون ذكر التوسل المعتقد لديكم أفضل، لو كان بالفعل أفضل حيث قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]؟ ولماذا لم يؤثر فعله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها طول حياتها، وقبر النبي عليه الصلاة والسلام في بيتها؟ إذن، ما علة منع توسل عائشة رضي الله عنها بذات النبي عليه الصلاة والسلام مع كون التوسل بذاته عليه الصلاة والسلام أفضل من عدمه؟ هل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت جاهلة بما هو أفضل وعلمتموه أنتم؟ وهذا أبعد ما يكون من الحق، أم صارت متجاهلة متغافلة؟ وهذا أيضا أبعد ما تتصف به أمنا زوجة رسول الله عليه الصلاة والسلام عائشة مع كونه طعنا في عرضها، إذن، التوسل بالذات والاستغاثة بالأموات والغائبين غير مشروعين؛ لأن أمنا عائشة لم تفعلهما في حق النبي عليه الصلاة والسلام في حال حياته وبعد وفاته، أما بعد وفاته فتقدم تقريره، وأما في حياته عليه الصلاة والسلام فيقرره لنا حديث الإفك الثابت في الصحيحين من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وفيه ﴿فَبَعَثُوا الجَمَلَ وسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَما اسْتَمَرَّ الجَيْشُ فَجِئْتُ مَنازِلَهُمْ وليسَ بهَا دَاعٍ، ولَا مُجِيبٌ فأمَمْتُ مَنْزِلِي الذي كُنْتُ به، وظَنَنْتُ أنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إلَيَّ، فَبيْنَا أنَا جَالِسَةٌ في مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وكانَ صَفْوَانُ بنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِن ورَاءِ الجَيْشِ، فأدْلَجَ فأصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إنْسَانٍ نَائِمٍ، فأتَانِي فَعرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وكانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ باسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وجْهِي بجِلْبَابِي ، ووَاللَّهِ ما كَلَّمَنِي كَلِمَةً ولَا سَمِعْتُ منه كَلِمَةً غيرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حتَّى أنَاخَ

رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ على يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ ، حتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَما نَزَلُوا مُوغِرِينَ في نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَن هَلَكَ... الحديث ﴾[18]،

والحديث يدل على عدم مشروعية الاستغاثة والتوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره لعدم فعل أم المؤمنين عائشة لهما، وهي في أمس الحاجة لفعلهما، لو كانا مشروعين وأفضلين، إذ إنها لم تقل وهي ذات كرب شديد ومنفردة في مكان ليس فيه أنيس: ﴿يا رسول الله أغثني﴾، أو ﴿يا نبي الله أتوسل بك إلى الله في أن يفرج عنى ما بي من الشدة﴾، والنبي عليه الصلاة والسلام حي لكنه غائب عنها، ولو كانا مشروعين لفعلتهما؛ لأن المقتضي لذلك قائم والمانع منتف، وكذلك لما تجرأت على الرجوع من السفر مع الرجل الأجنبي ﴿صفوان بن المعطل﴾؛ لأن الخلوة بالأجنبي حرام، لقوله جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو فقال الحمو الموت﴾، إذن، لو كانت عائشة رضي الله عنها تعتقد سماع النبي عليه الصلاة والسلام صوت من استغاث به، وهو غائب عن المستغيث به لاستغاثت به، دون إيثارها مصاحبة الأجنبي؛ لأنها سيدة العفيفات والمبرآت، حيث قال الله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]، ولقال لها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: فكيف آثرتي مصاحبة الأجنبي من الاستغاثة بي ولاعتقد أيضا ما أشاعه المنافقون، والعياذ بالله، ولكن لم يحصل شيء من ذلك من النبي عليه الصلاة والسلام، لعدم مشروعية الاستغاثة والتوسل بالأموات والغائبين ولله الحمد في الأولى والآخرة .

---

[18] أخرجه مسلم (٢٧٧٠)، والبزار (١٥٣)، والطبراني (٢٣/ ٥٦)، (١٢٣) جميعهم باختلاف يسير.

ش٩: إذا قال لك الصوفي: إن النبي عليه الصلاة والسلام يستغاث به حيا غائبا وميتا بعيدا عن الأحياء، بدليل حديث أبي هريرة قال: قام فينا النبي عليه الصلاة والسلام، فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، قال: لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك ...... الحديث. متفق عليه .

الجواب: فقل له: إذا أمعنت النظر في الحديث وتأملته فتجده دليلا لنا عليك لا لك؛ لأن الحديث يتكلم في جواز الاستغاثة بالحي الحاضر القادر؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام حي حاضر قادر عندما استغاث به الغال، إذ؛ حصول الاستغاثة منه بالنبي عليه الصلاة والسلام يوم القيامة بعد البعث والنبي عليه الصلاة والسلام حي حاضر قادر، وكذلك المستغيث به حي حاضر، كما هو نص الحديث، إذن، أين دلالة الحديث فيما أنت بصدده من أن النبي عليه الصلاة والسلام يستغاث به بعد موته مع كون المستغيث في الدنيا والنبي عليه الصلاة والسلام في البرزخ، إذن أين أنت من هذا الحديث؟ والحديث ليس فيما أصلته، وإنما هو في نقضه إن أمعنت النظر فيه وأنصفت.

هناك دليل آخر لنا عليك على بطلان ما أصلته من حديث ابن عباس ﴿أنَّ رجلًا قال للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ما شاء اللهُ وشئتَ فقال لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: أجعلتني للهِ ندا بل ما شاء اللهُ وحدَهُ﴾[19]، صححه الألباني في صحيح أدب المفرد.

قلت: إن هذا الحديث ينسف تأصيلك الباطل، إذ؛ النبي عليه الصلاة والسلام زجر بقوله: ﴿أجعلتني لله ندا؟﴾، من قرن مشيئته بمشيئة الله من حيث اللفظ فقط دون حقيقة المعنى، فما دام الأمر كذلك فكيف يكون زجر النبي عليه الصلاة والسلام فيمن يقول: ﴿يا رسول الله أغثني﴾، بعد ما فارق النبي عليه الصلاة والسلام الدنيا مع إفراد المستغيث له عليه الصلاة والسلام في استغاثته به، بخلاف ما حصل من الصحابي من إقرانه مشيئة النبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يفارق الدنيا بمشيئة الله تعالى في اللفظ؟ إذن، من أفرد النبي عليه الصلاة والسلام في الاستغاثة به يكون أزجر وأليق بقول النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿أجعلتني لله ندا؟﴾، ممن قرن مشيئته بمشيئة الله تعالى في اللفظ فقط.

وهناك دليل آخر أيضا من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ﴿لما فرغ النبي عليه الصلاة والسلام من حنين، بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمي أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم، فأثبته في ركبته ... إلى أن قال أبو عامر: فانزع هذا السهم، فنزعته، فنزا منه الماء، قال: يا ابن أخي أقرئ النبي عليه الصلاة والسلام السلام وقل له: استغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيرا، ثم مات، فرجعت

---

[19] أخرجه النسائي في ((الكبرى)) (١٠٧٥٩)، وابن أبي شيبة (٣٠١٨٩)، وابن المقريء في ((معجمه)) (٤٨٤) باختلاف يسير.

فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قل له: استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه، فقال: ﴿اللهم اغفر لعبيد أبي عامر﴾، ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس، فقلت: ولي فاستغفر،﴿فقال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وأَدْخِلْهُ يَومَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[20] ، متفق عليه .

قلت: في هذا الحديث دلالة على عدم مشروعية الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام في حالة موته وحياته مع غيابه، إذ؛ إن أبا عامر لم يستغث به عليه الصلاة والسلام مع اقتضاء المقام لذلك، ومع كون النبي عليه الصلاة والسلام حيا لكنه غائب عنه؛ لذا لم يستغث أبو عامر به عليه الصلاة والسلام، بل أرسل أبا موسى إليه بأن يستغفر الله له، ولم يقل: ﴿أغثني﴾، أو ﴿استغفر لي﴾، يا رسول الله مع إمكانية وقوع ذلك منه وعدم وجود المانع لفعل ذلك، ومع وجود المقتضي وانتفاء الموانع فكيف يتخلف المقتضى عن المقتضي وهذا الأمر في حال حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام فكيف يكون الأمر بعد موته عليه الصلاة والسلام؟ على كل أقول: لو كانت الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام خيرا ومشروعة لسبقنا إليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، إذ؛ إن الخير في اتباع من سلف والشر في ابتداع من خلف.

وهناك أيضا ما يدل على بطلان تأصيله ألا وهو عدم استغاثة عائشة بالنبي عليه الصلاة والسلام مرة واحدة طول حياتها، وقبره عليه الصلاة والسلام في بيتها، لو كانت الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام أفضل لسبقتنا أمنا عائشة إلى هذا الفضل والله ولي التوفيق.

---

[20] أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨)

ش١٠ : إذا قال لك الصوفي: إننا ندعو النبي عليه الصلاة والسلام ونستغيث به طلبا أن يدعو الله لنا، لا طلبا مباشرا منه ما ندعو به، لما رواه ابن أبي شيبة وغيره من طريق أبي صالح عن مالك الدار وكان خازن عمر على الطعام، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام، فقيل له: ائت عمر، فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيون، وقل له: عليك الكيس عليك الكيس، فأتى عمر فأخبره فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه

الجواب: فقل له قال الحافظ في الفتح (٢/٣٩٧): إن سيف بن عمر قد ذكر في 《الفتوح》 : أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة. انتهى المقصود.

قلت: وقد ضعف هذا الأثر العلامة الألباني في ﴿التوسل﴾ ص (١٣١)؛ لأن مالكا الدار غير معروف العدالة والضبط، وقد أورده ابن أبي حاتم في ﴿الجرح والتعديل﴾ (٤/ ٢١٣)، ولم يذكر راويا عنه غير أبي صالح، ففيه إشعار بأنه مجهول. انتهى المقصود.

وقال بعض أهل العلم: بل هو ليس بمجهول، فله ترجمة في ﴿الإرشاد﴾ للخليلي (٣١٣/١)، قال: تابعي قديم متفق عليه أثنى عليه التابعون.

وله ترجمة في ﴿الطبقات﴾ لابن سعد (٦/٥)، و ﴿الإصابة﴾ لابن حجر:(٣ /٤٥١)، وقال: له إدراك.

والعلة في الخبر من ذلك الرجل المجهول صاحب الرؤية، فإنه لم يسم، والرواية التي فيها تسميته ببلال بن الحارث فيها سيف بن عمر، قال فيه أبو حاتم الرازي: متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدي، ﴿تهذيب الكمال﴾ (٣٢٤/١٢) ، وقال أبو داود: ليس بشيء، ﴿تهذيب الكمال﴾ (١٢/ ٣٢٤)، وقال الحاكم: اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط، ﴿تهذيب التهذيب﴾ (٢ /١٤٤)، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، وقالوا: إنه كان يضع الحديث، ﴿تهذيب الكمال﴾ (٣٢٤/١٢)، وقال الحافظ ابن حجر: سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب الردة، ويقال: الضبي، ويقال: غير ذلك الكوفي ضعيف الحديث، عمدة في التاريخ، أفحش ابن حبان القول فيه ﴿التقريب﴾ (٢٤٩)، إذن، الأثر غير ثابت لعلة جهالة صاحب المنام، ومع ذلك هذا الأثر يخالف ما ثبت في أصل الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء طلبا للغيث، كما ثبت ذلك في السنة، ومخالف أيضا ما تضمنته آيتا ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [النوح: ١٠]، ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [النوح: ١١]، ولو كان الأثر ثابتا ولم يكن مخالفا لما ثبت في أصل الشرع لم يكن دالا على ما أنتم حوله تدندنون، إذ؛ إن الأثر

يقرر طلب الدعاء من النبي عليه الصلاة والسلام بعد المجيء إلى قبره عليه الصلاة والسلام لقوله: ﴿ فجاء رجل إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام ﴾، بخلاف طلبكم الدعاء من النبي عليه الصلاة والسلام، وهو في قبره، وأنتم غير آتين إليه، إذن، لو ثبت الأثر فإنه غير مطاع لكم؛ لأن مضمونه في واد وفهمكم له في واد آخر.

وكذلك في الأثر ما يدل على عدم ثبوته، ألا وهو عدم تعليم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر عمر وغيره من الصحابة دون الرجل المجهول حسب ما يستفاد من الحديث، لقول عمر فيه: ﴿ لا آلو إلا ما عجزت ﴾، مع كون هذا الأمر بهذه المثابة في الأهمية من كونه سببا سريعا لإزالة القحط، بما أنكم قد أثبتم بفهمكم السوء تعليم النبي عليه الصلاة والسلام عمر هذا الأمر، أي: الاستغاثة بالعباس مستدلين بما ورد في صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: ﴿ إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا قال فيسقون ﴾، قلت: قد يقول قائل من الصوفية والأحباش: إن الذي ثبت في حديث أنس توسل وفي حديث مالك الدار استغاثة، فكيف يتم إثبات التناقض منا ؟ قلنا له: قد أثبت من تعتبره إماما للصوفية السبكي كون التوسل والاستغاثة مترادفين قائلا في كتابه ﴿شفاء السقام﴾ ص (٢٩٧): ﴿التعبير عن التوسل والاستغاثة ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ التوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التوجه﴾. انتهى المقصود.

إذن، ثبت كون التوسل والاستغاثة مترادفين لديكم، وإذا ثبت ذلك فثبوت التناقض منكم أمر جلي كالشمس في ضحاها ولله الحمد على نعمة العقيدة الصحيحة.

وكذلك أيضا هذا الأثر مع ضعفه مخالف لما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة قالت: وارأساه، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ﴿ذَاكِ لو كانَ وأَنَا حَيٌّ، فأسْتَغْفِرَ لَكِ وأَدْعُوَ لَكِ. فَقالَتْ عَائِشَةُ: وا ثُكْلِيَاهْ! واللَّهِ إنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، ولو كانَ ذَاكَ، لَظَلِلْتَ آخِرَ يَومِكَ مُعَرِّسًا ببَعْضِ أزْوَاجِكَ﴾[٢١]، وهذا الحديث ينسف ما قرره الصوفي من أن النبي عليه الصلاة والسلام يدعو لمن سأله أن يدعو الله له من الأحياء وهو في قبره عليه الصلاة والسلام، لقول النبي عليه الصلاة والسلام لعائشة في الحديث: ﴿ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك﴾، المراد بقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ذاك﴾، موتك، أي: لو حصل موتك قبلي وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك، ومفهوم هذا الحديث لو تأخر موت عائشة وسبق موت النبي عليه الصلاة والسلام فاستغفاره ودعاءه لها غير حاصل، لو لم يكن كذلك لاستوى الأمران، أي: موته وحياته، وإذا استويا فما فائدة قيد النبي عليه الصلاة والسلام الدعاء والاستغفار لعائشة في حال حياته فقط دون مماته؟ لقوله: ﴿ذاك لو كان وأنا حي﴾، أهو لعدم حبه لها؟ ولعدم رحمته بها؟ لحبه من دونها ممن يعتقدون دعاءه عليه الصلاة والسلام ربه لهم بعد موته؟ والجواب: لا، ألف لا، بل هي أحب نسائه، كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام، إذن طلب الدعاء من النبي عليه

---

[٢١] أخرجه ابن حبان (٦٥٨٦)، بلفظ مقارب، ومسلم (٢٣٨٧)، وابن ماجه (١٤٦٥)، بنحوه.

الصلاة والسلام بعد موته لم يثبت عن الشارع الحكيم، ولو كان ثابتا لدل عليه النبي المختار الرؤوف الرحيم بالمؤمنين عائشة، بل الأمة بأسرها، لو كان خيرا ذا فضل. والله الهادي إلى سواء السبيل.

ومع ضعف الأثر أيضا ليس فيه ما يدل على إقرار عمر إتيان الرجل المجهول إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام، لعدم إخبار الرجل عمر بمجيئه إلى قبره عليه الصلاة والسلام، وإنما أخبره بما رآه في المنام، إذن، سقط زعم الصوفية والأحباش على عروشه. وقوله في الأثر: ﴿فجاء رجل إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام ... إلخ﴾، معارض لما رواه عبد الرزاق في مصنفه في نفس هذه القصة بذكر ما يعارض قصة مجيئ الرجل المجهول إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام، حيث قال رحمه الله تعالى: ﴿عن معمر بن راشد عن إسماعيل أبي المقدام عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال أصاب الناس سنة، وكان رجل في بادية، فخرج فصلى بأصحابه ركعتين واستسقى، ثم نام فرأى في المنام أن رسول الله عليه الصلاة والسلام أتاه، وقال: أقرئ عمر السلام وأخبره: أن الله قد استجاب لكم، وكان عمر قد خرج فاستسقى أيضا، وأمره فليولف العهد وليشد العقد، قال: فانطلق الرجل حتى أتى عمر، فقال: استأذنوا لرسول رسول الله عليه الصلاة والسلام: قال فسمعه عمر فقال: من هذا المفتري على رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقال الرجل؟ لا تعجل علي يا أمير المؤمنين، فأخبره الخبر، فبكى عمر﴾.

ففي هذه الرواية ذكر خروج الرجل المجهول إلى صلاة الاستسقاء وصلاته ركعتين واستسقائه دون إتيانه إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام، بل بعد صلاته للاستسقاء نام حتى رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام في منامه آتيا إليه قائلا له: ﴿أن الله قد استجاب لكم﴾، إذن، الرواية صارت في صدد إثبات ما ثبت في أصل الشرع، ألا وهو صلاة الاستسقاء دون غيره من المجيئ إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام.

وقول النبي عليه الصلاة والسلام في الرواية: {أن الله قد استجاب لكم} يدل على صدور الدعاء منهم دونه، ولو كان صادرا منه عليه الصلاة والسلام لقال: {أن الله قد استجاب لي}، ولم يقل ذلك لعدم حصول الدعاء منه عليه الصلاة والسلام.

وهذه الرواية أيضا تدلنا على أن عمر لم يفعل إلا المشروع في أصل الشرع، لخروجه إلى الاستسقاء حتى استسقى دون أن يأتي إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام.

وقول عمر في آخر هذه الرواية: ﴿من هذا المفتري على رسول الله عليه الصلاة والسلام﴾، بعد أن قال الرجل: ﴿استأذنوا لرسول رسول الله عليه الصلاة والسلام﴾، يدل على أن المتقرر عند عمر عدم علاقة الميت بالحي، لو لم يكن كذلك لما بادر عمر بقوله: ﴿من هذا المفتري على رسول الله عليه الصلاة والسلام﴾، حتى قال الرجل: ﴿لا تعجل علي يا أمير المؤمنين﴾ والله ولي التوفيق.

ش١١: إذا قال لك الصوفي: إن لنا لدليلا قاطعا ثابتا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، بسند صحيح إليه في مشروعية الاستغاثة بالأموات الصالحين فيما أخرجه البخاري في الأدب المفرد، قال: باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله، ثم قال: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن سعد قال: خَدِرَتْ رِجْلُ ابنِ عمرَ فقال لهُ رجلٌ اذكر أحَبَّ النَّاسِ إليكَ، فقال " محمَّدٌ"

الجواب: فقل له أولا: نرد عليك هذه الشبهة من ناحية الإسناد، وهذا الإسناد فيه آفة تدليس ابن إسحاق وإن كان ثقة، كما ترجم له الحافظ ابن حجر في كتابه: ﴿طبقات المدلسين﴾ ص (٤٦)، حيث قال: (ع) عمرو بن عبد الله السبيعي الكوفي مشهور بالتدليس، وهو تابعي ثقة، وصفه النسائي وغيره بذلك. انتهى كلامه.

قلت: إن أبا إسحاق السبيعي لم يصرح بالسماع في هذه الرواية، وإنما عنعن فيها قائلا: عن عبد الرحمن بن سعد، إذن، الرواية تكون ضعيفة بهذه العلة، هذا من ناحية الإسناد.

وأما من ناحية المتن على فرضية ثبوته فلا دلالة على مرام الصوفي، إذ؛ إن الأثر ليس فيه ذكر الاستغاثة بالنبي أو دعائه عليه الصلاة والسلام، وإنما فيه مجرد ذكر المحبوب، كما يدل على ذلك ترجمة البخاري بقوله: ﴿باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله﴾، ولم يقل: ﴿باب استغاثة الرجل بالنبي عليه الصلاة والسلام أو دعائه إذا خدرت رجله﴾؛ لعدم فهمه من الأثر ما فهمه الصوفي.

وكذلك لو كان الأثر دالا على مشروعية الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام أو غيره بعد موتهم وفي حالة غيابهم وهم أحياء مطلقا من غير قيد كما هو مذهب الصوفية والأحباش لما حصل تقييد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في ترجمته بقوله: ﴿إذا خدرت رجله﴾ وهذا على فرضية دلالة الأثر على ما ادعت الصوفية والأحباش؛ لأن مفاد الدليل المقيد غير مفاد الدليل المطلق كما هو متقرر في علم الأصول، أنتم أيها الصوفية والأحباش، فاهمون من الأثر مطلق مشروعية الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره، بينما البخاري قيده فيما خدرت رجل الرجل، هذا كله على فرضية ثبوت الأثر ودلالته على مشروعية الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره من الصالحين في حالة موتهم وحياتهم مع غيابهم .

ولو كان الأثر أيضا دالا على ما ادعته الصوفية والأحباش فإنه يكون معارضا لما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة كما تقدم ذكره، قالت: فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ﴿ذَاكِ لو كانَ وأَنَا حَيٌّ، فأسْتَغْفِرَ لَكِ وأَدْعُوَ لَكِ﴾ [٢٢] ، إذ؛ إن النبي عليه الصلاة والسلام قيد الاستغفار والدعاء لزوجته ولمن هي أحب نسائه إليه في حال حياته دون مماته، إذن، الأثر بفهم الصوفية والأحباش معارض لهذا الحديث؛ لأن الصوفية عندما يستغيثون بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره من الصالحين يقولون: نستغيث بهم طلبا أن يدعوا الله لنا لا طلبا مباشرا منهم، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول لهم: أنا لا أدعو لأحد إلا في حياتي أما بعد مماتي فلا، كما في الحديث المتقدم، إذ لو كان عليه الصلاة والسلام داعيا لأحد بعد موته لدعا قبل كل أحد لزوجته عائشة المحبوبة إليه المبرأة في

---

[٢٢] أخرجه ابن حبان (٦٥٨٦)، بلفظ مقارب، ومسلم (٢٣٨٧)، وابن ماجه (١٤٦٥)، بنحوه.

كتاب الله الكريم والتي مات النبي عليه الصلاة والسلام بين نحرها وسحرها في بيتها رضي الله عنها وأرضاها.

تأمل هنا أيها الصوفي التعارض بين ما ثبت في الصحيحين من الحديث المرفوع وبين الأثر الموقوف المروي عن ابن عمر في الأدب المفرد مع فهمك له بأنه يدل على مشروعية الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره؛ إذن، أيهما يترجح عندك؟ لا شك في كون الرجحان لما ثبت في الصحيحين على ما ثبت في غيرهما من حديث مرفوع فضلا عن أثر موقوف ضعيف لما تقرر في علم المصطلح.

وكذلك الأثر مخالف لما ثبت في الصحيحين أيضا من حديث أبي موسى الأشعري المتقدم ذكره قال: ﴿لما فرغ النبي عليه الصلاة والسلام من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، ... إلى أن قال أبو عامر: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا منه الماء، قال: يا ابن أخي، أقرئ النبي عليه الصلاة والسلام السلام، وقل له: استغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيرا ثم مات، فرجعت فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قل له: استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: اللهم اغفر لعبيد أبي عامر ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس، فقلت: ولي فاستغفر، فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما﴾ متفق عليه.

وهذا الحديث يرد على شبهة الصوفي، إذ؛ إن أبا عامر لم يستغث بالنبي عليه الصلاة والسلام مع وجود ما يقتضي ذلك، والنبي عليه الصلاة والسلام حي غائب عنه مع تمكنه على الاستغاثة وعدم المانع عنها، لو كانت الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام في حال غيابه وبعد موته مشروعة وخيرا من عدمها كما ادعت الصوفية والأحباش لفعله من هو

خير منا أبو عامر، ولما أرسل أبا موسى إلى النبي عليه الصلاة والسلام بأن يستغفر له ويدعو له، ولقال مباشرة ما تقوله الصوفية والأحباش بقولهم: ﴿يا رسول الله أغثنا﴾، ولم يقع ذلك منه رضي الله عنه.

نقول للصوفية والأحباش عندنا سؤال مهم موجه إليكم: هل الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره من الصالحين أفضل وخير من عدمها أم لا؟ إن كان جوابهم هو الأول فقلنا لهم: لماذا تركها أبو عامر ألعدم حرصه على ما هو خير وأفضل تقصيرا منه وأنتم سابقون إلى هذا الفضل والخير منه دونه؟ وهذا من أكبر المحال إذ؛ الصحابة هم السابقون إلى الخيرات بدليل قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [سورة الواقعة: ١٠]، ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١١]؛ لأنهم أول من ينطبق عليهم مضمون هذه الآية مع كون ادعاء السبق إلى هذا الفضل والخير ممن دون الصحابة قدحا في حقهم، وأي أمر أشنع من الأمر الذي يستلزم تفضيل النفس على الصحابة ثم الطعن في حقهم؟

وإن كان جوابهم هو الثاني فنقول لهم: لماذا تشغلون أنفسكم بها مع ترككم الأفضل والخير؟ فهل يصدر مثل هذا إلا من المجانين أو اليهود، كما قال الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، مع معارضة جوابكم هذا لما تقررون من أن الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام ولو كان بعد موته أنفع في إزالة الشدائد والكربات مستدلين ببعض ما ورد في أثر ابن عمر الضعيف ألا وهو ﴿فكأنه نشط من عقال﴾ أي: عندما قال ابن عمر ﴿محمد﴾ إذن، استدلالكم هذا معارض لما اخترتموه فأين المفر من هذا التناقض الفاضح؟

وكذلك الأثر على فهم الصوفية معارض لما ثبت في ﴿المختارة﴾ لضياء الدين من حديث علي بن الحسين: ﴿أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي عليه الصلاة والسلام، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، فقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي

عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال: لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم﴾، ورواه أيضا ابن أبي شيبة.

وهذا الحديث كما تراه أيها الصوفي يسد طرق الشرك منكرا عليكم ما شرعتموه من الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره من الصالحين بعد موتهم أو في حال حياتهم مع غيابهم؛ وعلي بن الحسين هو تابعي ومن أفضل أهل بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام علما وفقها وزهدا.

وكذلك هذا الأثر لو كان دالا على ما فهمتموه من مشروعية الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره من الصالحين لما ترك ابن عمر الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام عندما عمي في آخر عمره؛ لأن العين أكرم وأغلى شيء مما في الجسد من الرجل وغيره، وهذا متفق عليه بين العقلاء، إذن، لماذا لم يستغث ابن عمر بالنبي عليه الصلاة والسلام عند هذه الضرورة الضخمة لو كانت الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام وغيره من الصالحين مشروعة؟ لذا نقول للصوفية والأحباش: معنى المراد من الأثر على فرضية ثبوته هو مجرد ذكر المحبوب كي ينشط حركة الدم في مجراه حتى يذهب المرض لا من باب الاستغاثة، وهذا الأمر كان معروفا في الجاهلية قبل الإسلام، كما جاء ذلك في كتاب ﴿بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب﴾ للألوسي (٢/٣٢٠-٣٢١)، حيث قال ناقلا عن بعض أهل الجاهلية؛

رب محب إذا ما رجله خدرت نادى كبيشة حتى يذهب الخدر.

إذن، الأمر من باب التداوي العادية، لا من باب الاستغاثة ودعاء الأموات، إذا قلنا بثبوت الأثر.

قد يقول لك الصوفي: إن البخاري لم يورد هذا الأثر في الأدب المفرد إلا ليثبت ما فيه من الدلالة الشرعية لا العادية، قلنا له: إن البخاري رحمه الله تعالى ترجم لكثير من الأمور

العادية لا الشرعية، مثل: ﴿باب البناء﴾، و ﴿باب الجلوس على السرير﴾، و ﴿باب من أدلى رجليه إلى البئر إذا جلس وكشف عن الساقين﴾، وغير ذلك مما ليس له تعلق بالشرع، وإنما تعلقه بالعادات الحسنة، إذن، أثر ابن عمر يكون من هذا القبيل على فرضية ثبوته. والله الهادي إلى سواء السبيل.

ش١٢: إذا قال لك الصوفي: عندنا دليل دال على مشروعية الاستغاثة بالأموات الصالحين، ألا وهو حديث ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إذا انفلتت دابةُ أحدِكم بأرضٍ فَلَاةٍ فلينادِ يا عبادَ اللهِ، احبِسوا عَلَيَّ، يا عبادَ اللهِ احبِسوا عَلَيَّ، فإن للهِ في الأرضِ حاضرًا سَيَحْبِسُهُ عليكم﴾، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

الجواب: قلت: في سند هذا الحديث معروف بن حسان، قال عنه ابن عدي: منكر الحديث حسب ما ذكره الحافظ ابن حجر في كتابه ﴿لسان الميزان﴾ (٧/ ١٢٠).

وقال عنه أبو حاتم: مجهول في كتابه: ﴿الجرح والتعديل﴾ (٨/ ٣٢٣)، إذن، الحديث ضعيف لم يثبت، وهذا من ناحية الإسناد. أما من ناحية المتن على فرضية ثبوته فهو غير دال على مشروعية الاستغاثة بالأموات الصالحين، وإنما يدل على الاستغاثة بالأحياء

الحاضرين القادرين لقوله في الحديث: ﴿فإن للهِ في الأرضِ حاضرًا سَيَحْبِسُهُ عليكم﴾[٢٣]، وهؤلاء العباد الحاضرون قد يكونون من الملائكة أو مؤمني الجن؛ لأنه وردت في بعض طرق هذا الحديث مع عدم خلوها من ضعف جملة: ﴿فإن لله عبادا لا نراهم﴾، وهذا الوصف منطبق على الملائكة أو مؤمني الجن؛ لأننا لا نراهم بما أن الأموات لا يحضرون في أرض الدنيا، بل هم ماكثون في قبورهم إلى يوم يبعثون، قال الله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وهناك تقرير ملزم يلزم الصوفية والأحباش، سبق أن قرروه بأنفسهم ألا وهو ﴿لا تعني استغاثتنا بالأموات الصالحين طلبا طلبا مباشرا منهم، بل تعني أنهم يدعون الله لنا في حوائجنا لتقضى﴾، نقول لهم: إذن، الحديث الذي استدللتم به هنا على إثبات مشروعية الاستغاثة بالأموات الصالحين ينقض هذا التقرير؛ لأنه يدل على الطلب المباشر من عباد الله، حيث قال في الحديث: ﴿يا عبادَ اللهِ احبِسوا عَلَيَّ، يا عبادَ اللهِ احبِسوا عَلَيَّ، فإن للهِ في الأرضِ حاضرًا سَيَحْبِسُهُ عليكم﴾، إذن، الحديث انقلب دليلا لنا عليكم، إذ؛ إن الحابس هنا بالفعل المباشر ليس الله، وإنما هم عباد الله الحاضرون؛ لأن الفعل مسند إليهم مع كونهم أحياء وحاضرين وقادرين، ولم يكن في الحديث أنهم دعوا الله لمن استغاث بهم، وإنما فيه وقوع الفعل المباشر منهم، وهو حبس الدابة، لقوله في الحديث: ﴿سيحبسه عليكم﴾، إذن، الحديث ليس في صدد استغاثة الأحياء بالأموات، إذ؛ إن الحضور المذكور في الحديث يستلزم الحياة، وإن الحبس يستلزم القدرة، ومعنى ذلك لا حضور إلا بالحياة

---

[٢٣] أخرجه أبو يعلى (٥٢٦٩)، والطبراني (١٠/٢٦٧) (١٠٥١٨) واللفظ له، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (٥٠٨)

ولا حبس إلا بالقدرة، إذن، الحديث في صدد تقرير ما قررناه، ألا وهو جواز الاستغاثة بالحي الحاضر القادر، بخلاف ما قررتموه من أن الاستغاثة بالأموات الصالحين مشروعة.

نقول للصوفية والأحباش: عندنا سؤال ذو أهمية بمكان، ألا وهو هل تقولون: إن فاعل الحبس فعلا مباشرا حسب ما ورد في الحديث هو الله سبحانه أم العباد الحاضرون في الأرض؟ وإن قلتم بالأول فقد كفرتم، إذ؛ إنكم جعلتم الله تعالى عبدا حاضرا في الأرض، من جعل الله تعالى عبدا من العباد فكفره متعين لا محالة، ومن جعله حاضرا في الأرض بذاته فهذا أيضا كافر؛ لأنه جعل الله تعالى من جنس المخلوقين، ولأنه منكر بأنه مستو على عرشه بائن من خلقه، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وإن قلتم بالثاني فهو ينقض تقريركم المتقدم، ألا وهو: ﴿لا تعني استغاثتنا بالأموات الصالحين طلبنا طلبا مباشرا منهم، بل تعني أنهم يدعون الله لنا في حوائجنا لتقضى﴾، لأنه ليس في الحديث ما يدل على أن عباد الله الحاضرين دعوا الله، وإنما ثبت فيه مباشرتهم الحبس بالفعل مع أن هناك فرقا بين الدعاء للغير وبين الفعل المباشر عقلا وشرعا وحسا، إذن، الحديث لا يكون لكم دليلا؛ لأن مضمونه ليس متوافقا مع مضمون تقريركم. والله المستعان.

قد سمعنا بعض الأحباش في بلادنا يقولون رادين علينا اشتراطنا القدرة للعبد عند الاستغاثة به في قولنا: ﴿لا تجوز الاستغاثة إلا بالحي الحاضر القادر﴾، هل هناك قدرة مؤثرة للعبد حتى تشترطوها؟

قلنا لهم: هذه عقيدة الجبر الخفية، إذ؛ إنكم سالبون عن العبد قدرته المؤثرة في أفعاله تأثير سبب في المسببات، مع كون جاعل التأثير في الأسباب هو الله تعالى، ونفيتم أيضا عنه

هذه القدرة فيما أعطي فيه أصل الاستطاعة والقدرة وما لم يعط فيه جميعا؛ لأنكم سويتم بين الأمرين، ومثال ما أعطي فيه العبد أصل القدرة التي كلف بها في عبادة رب العالمين والتي إذا فقدت فقد ما كلف به العبد الصلاة والزكاة والصيام وغير هذه الأمور، العبد في هذه الأمور وغيرها قادر ومستطيع الاستطاعة التي تؤهله للتكليف، وإذا اختلت هذه الاستطاعة بسبب من الأسباب فلا يكلف العبد تكليف المستطيع، حيث قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ومثال ما لم يعط فيه العبد أصل القدرة إغاثته بعد موته للأحياء، إذ؛ إنه مات وماتت قدرته التي تتعلق بأمور هذه الحياة، والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ﴿ذَاكِ لو كانَ وأَنَا حَيٌّ، فأسْتَغْفِرَ لَكِ وأَدْعُوَ لَكِ ﴾[24] ، وجملة: ﴿وأنا حي﴾ في الحديث جملة حالية؛ لأن الواو واو الحال، إذن، تعتبر هذه الجملة مقيدة لقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث: ﴿فأستغفر لك وأدعو لك﴾ ، كما قيدت جملة: ﴿ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾[النساء: ٤٣]، مع كونها جملة حالية قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ٤٣]، قيد عدم اقتراب الصلاة هنا بكون المؤمن سكران، فإذا لم يكن سكران لم ينه عن اقترابه إياها، بل هو مأمور بها، إذن، لو حصل موت عائشة في حالة موته عليه الصلاة والسلام فعدم استغفاره ودعائه لها أمر بين لتقييده ذلك في حال حياته بقوله: ﴿وأنا حي﴾، لو لم يكن كذلك فما معنى تقييده عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وأنا حي﴾، هل هو حشو من الكلام؟ قلنا: حاشا له من أن يتكلم عليه الصلاة والسلام

---

[24] أخرجه ابن حبان (٦٥٨٦)، بلفظ مقارب، ومسلم (٢٣٨٧)، وابن ماجه (١٤٦٥)، بنحوه.

بكلام ليس له معنى، إذ؛ إنه أرسل رحمة للعالمين ببيانه ما أرسل به للعالم بأسره، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، إذن، حكمة إرسال الله رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام رحمة العالمين ببيانه عليه الصلاة والسلام ما نزل إليهم، لا ليتكلم بحشو من الكلام الذي لا فائدة فيه للعالمين.

إذن، الحديث المتقدم الذي استدلت به الصوفية والأحباش لم يطعهم رواية ودراية على حسب التحقيق العلمي المتقدم.

فتقرير الصوفية والأحباش بأن استغاثتهم بالأموات الصالحين لا تعني طلبهم طلبا مباشرا منهم وإنما تعني دعاء الأموات الصالحين لهم يبطله وينسفه أيضا حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: ﴿أخَذَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بمَنْكِبِي، فَقالَ: كُنْ في الدُّنْيَا كَأنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. وكانَ ابنُ عُمَرَ يقولُ: إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ﴾. أخرجه البخاري في صحيحه.

ركز أيها الصوفي في آخر الحديث من كلام ابن عمر: ﴿ومن حياتك لموتك﴾، وهذا الشق من كلامه ينسف تقريركم المتقدم نسفا؛ لأنه يدل دلالة بينة على عدم صدور أي عمل صالح من الأموات الصالحين في حالة موتهم، وادعاؤكم كون الأموات الصالحين يدعون الله لكم عند استغاثتكم بهم عمل صالح بلا مرية، إذ؛ إن دعاء الله منهم لكم عبادة، والعبادة عمل صالح، كذلك في إثبات صدور الدعاء من الأموات الصالحين لمن استغاث بهم إثبات التعاون على البر والتقوى؛ لأنهم يدعون الله للأحياء المكروبين بزوال الكربات الواقعة عليهم عنهم حسب ادعائكم، إذن، هذا عين التعاون على البر والتقوى، والتعاون على البر والتقوى عبادة؛ لأن ربنا عز وجل أمرنا به قائلا: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، ومن دعا الله لنفسه أو لغيره أو تعاون مع عباد الله على البر والتقوى مخلصا فيهما ولا بد من إثباتكم لمن تستغيثون بهم ذلك فإنه ممتثل أمر الله، فمن امتثل أمره فهو عابد له بذلك، إذن، أنتم مثبتون لمن تستغثون بهم من الأموات الصالحين عدم انقطاع عملهم، وابن عمر ينفي ذلك بقوله: ﴿خذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك﴾، أي الفريقين أحق بالحق إن كنتم صادقين؟ أأنتم أم ابن عمر؟ وإن قلتم بالأول فخبتم وخسرتم، إذ؛ إنكم مفضلون أنفسكم على الصحابي عبد الله بن عمر، وإن قلتم بالثاني فأنتم ضالون مضلون؛ لعدم اقتدائكم بالصحابي ابن عمر ومخالفتكم له واتباعكم أهواءكم بغير هدى من الله. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٥]، وكذلك هذا التقرير الصوفي مصادم لحديث ابن عباس: ﴿قالَ رسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لرجُلٍ وهوَ يعِظُه: اغتَنِم خمسًا قبلَ خمسٍ، شبابَك قبلَ هَرمِك، وصحَّتَك قبلَ سَقمِك، وغناكَ قبلَ فقرِك، وفراغَك قبلَ شُغلِك، وحياتك قبلَ موتِكَ﴾[٢٥] أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهما، وصححه الإمام الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

شاهدنا من الحديث: ﴿وحياتك قبل موتك﴾، أي: استغل حياتك بالمسارعة إلى الأعمال الصالحة قبل أن يحول بينك وبينها الموت، إذن، بعد الموت لا أعمال صالحات تكتسب،

---

[٢٥] من حديث عمرو بن ميمون قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لرجلٍ وهو يعِظُه: اغتنِمْ خمسًا قبلَ خمسٍ: شبابَك قبلَ هَرَمِك، وصحتَك قبلَ سقَمِك، وغِناك قبلَ فَقرِك، وفَراغَك قبلَ شُغلِك، وحياتَك قبلَ مَوتِك أخرجه ابن المبارك في ((الزهد)) (٢)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٤٦٠)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١٤٨/٤) باختلاف يسير

ومن قال بالعكس فنقول له: ما معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿وحياتك قبل موتك﴾؟ بعد أن قال: ﴿اغتنم خمسا قبل خمس﴾. والله ولي التوفيق.

ش١٣: إذا قال لك الصوفي: هناك دليل لنا عليكم في الإتيان إلى قبور الصالحين قائلين: يا أولياء الله استغفروا لنا الله من ذنوبنا، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] مع ثبوت التجربة في ذلك، كما جاء في تفسير القرطبي، قال: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ .... الآية. ﴾ روى أبو صادق عن علي قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله عليه الصلاة والسلام بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام، وحثا على رأسه من ترابه، فقال: قلت: يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله، فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ .... الآية﴾ وقد ظلمت نفسي، وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر إنه قد غفر لك.

الجواب : فقل له: إن هذه الآية بفهمك الخاطئ معارضة لحديث ابن مسعود الضعيف الذي سوف تستدل به على جواز نداء الاموات وطلب الاستغفار منهم، حيث نسب إلى النبي عليه الصلاة والسلام فيه استغفاره لأمته عندما تعرض عليه أعمالهم وهو في قبره لما قيل في الحديث منسوبا إليه: ﴿وما رأيت من شر استغفرتُ اللهَ لكم ﴾[٢٦]، إذن، ما معنى آية: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، مع كون النبي عليه الصلاة والسلام مستغفرا لأمته من أعمالهم السيئة عندما تعرض عليه وهو في قبره، وما فائدة مجيئ الجائي إلى قبره عليه الصلاة والسلام وطلب الاستغفار منه مع حصول الاستغفار منه لأمته من شر أعمالهم وهو في قبره، كما هو المستفاد من الحديث، وإن سلمنا جدلا بعدم التعارض فالآية غير دالة على ما أنت في صدده؛ لأن الآية تتكلم حول توجيه الله تعالى للمنافقين في طلبهم الاستغفار من النبي عليه الصلاة والسلام وهو حي غير ميت، لكنك انتزعتها عن سياقها بتركك ذكر ما قبلها من الآيات لتدل على هواك، وها هي الآيات التي قبلها قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]،﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ

---

[٢٦] أخرجه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (١٩٩٠)، والحارث في ((مسنده)) (٩٥٣)

فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

تأمل أيها الصوفي في قوله تعالى من الآيات المذكورات: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، فقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، أمر من الله تعالى لنبيه الكريم عليه الصلاة والسلام بإعراضه عن المنافقين، وامتثال النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الأمر لا يتصور منه عليه الصلاة والسلام إلا في حال حياته. أما بعد موته فلا، ومن قال بالتصور فعليه بالبرهان كتابا وسنة وفهما لسلفنا الصالح، وقوله تعالى أيضا: ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، أمر منه تعالى يوجهه إلى النبي عليه الصلاة والسلام في حال حياته دون حال مماته، إذ؛ إن الموعظة والقول البليغ للغير لا يتصور من النبي عليه الصلاة والسلام وغيره إلا في حال الحياة؛ لأن الموعظة والقول البليغ للغير يعتبر دعوة إلى الرب تعالى، والدعوة للمنافقين وغيرهم لا تتصور إلا في حال حياة الداعي والمدعو لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فكيف يمكن دعوة الميت للحي المخالف لشرع الله تعالى ومجادلته له بالتي هي أحسن؟ هل يتصور ذلك شرعا وعقلا؟ ومن قال بالتصور فعليه بالبرهان من الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، إضافة إلى ذلك نقول له: ما دمت قائلا بالتصور أرنا وأسمعنا ذاهبين إلى القبور دعوة الميت ومجادلته للحي المخالف لشرع الله تعالى من المنافقين وغيرهم فأنى له ذلك.

ونقول له: أيضا إن الآية التي استدللت بها منتزعا عن سياقها يفسرها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾

[المنافقون: ٥]، وسبب نزول هذه الآية هو ما ثبت في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فيه شِدَّةٌ فَقالَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ لأَصْحَابِهِ: لا تُنْفِقُوا علَى مَن عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حتَّى يَنْفَضُّوا مِن حَوْلِهِ. قالَ زُهَيْرٌ: وَهي قِرَاءَةُ مَن خَفَضَ حَوْلَهُ. وَقالَ ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ﴾ قالَ: فأتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فأخْبَرْتُهُ بذلكَ فأرْسَلَ إلى عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ فَسَأَلَهُ فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ ما فَعَلَ، فقالوا: كَذَبَ زَيْدٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قالَ: فَوَقَعَ في نَفْسِي ممَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ حتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقِي ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] قالَ: ثُمَّ دَعَاهُمُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لِيَسْتَغْفِرَ لهمْ، قالَ: فَلَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ، وقَوْلُهُ ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] وَقالَ: كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شيءٍ﴾[٢٧].

قلت: وقول زيد بن أرقم في الحديث: ﴿خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة ... الحديث﴾ وهذا الشق من الحديث يدل على أن الواقعة وقعت في حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام دون موته؛ لأن الخروج في السفر لا يتصور إلا في حال الحياة، إذ؛ إننا ما عرفنا الخروج في السفر من الأموات، ومن أثبته للأموات فعليه بالبرهان النقلي أو النظري.

ويدل على تقريرنا السابق أيضا قول عبد الله بن أبي في الحديث: ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا﴾؛ إذ؛ كون الصحابة عند رسول الله عليه الصلاة والسلام في ذلك السفر يستلزم حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكذلك قوله: ﴿ليخرجن الأعز منها الأذل﴾، يستلزم حياته عليه الصلاة والسلام؛ لأن ابن أبي لم

---

[٢٧] خرجه البخاري (٤٩٠٣)، وأحمد (١٩٣٣٤) واللفظ لهما، والترمذي (٣٣١٣) بنحوه.

يرد بكلمته: ﴿الأذل﴾ إلا رسول الله عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام، وإخراج الأعز للأذل من المدينة لا يتصور إلا في حال الحياة.

وكذلك قول زيد بن أرقم في الحديث: ﴿فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فاجتهد يمينه ما فعل﴾، يقرر ما ذهبنا إليه؛ لأن إرسال النبي عليه الصلاة والسلام لزيد بن أرقم إلى عبد الله بن أبي لا يكون إلا في الحياة، إذ؛ إن الإرسال يحتاج إلى تكليم من يرسل لمن يرسله نطقا بخلاف الميت؛ لأنه لا ينطق نطقا يسمعه ويفهمه الأحياء ،فضلا عن أن يكون مرسلا، وهذا أمر بين للغاية، وكذلك قوله :حتى أنزل الله تعالى تصديقي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ [المنافقون: ١]، مثبت ما قررناه؛ لأن إنزال الوحي لا يكون إلا على الحي، إذن، النبي عليه الصلاة والسلام عند نزول هذه الآية كان حيا؛ لأن الوحي لا ينزل على الميت، وكذلك قوله: ﴿ثم دعاهم النبي عليه الصلاة والسلام ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم﴾، يدل على أن النبي عليه الصلاة والسلام كان حيا؛ لأن الدعوة للمنافقين لا يمكن من الميت؛ لأنه غير ناطق بما يفهمه الأحياء، فمن زعم خلاف ذلك فسنقول له: أسمعنا كلام الميت للحي، فأنى له ذلك.

إذن هذا التحقيق المستفاد من الحديث يبطل استدلال الصوفي بآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وأيضا يدل على بطلان استدلال الصوفي بالآية المتقدمة على جواز إتيانهم إلى قبور الصالحين قائلين يا أولياء الله استغفروا لنا الله عدم ثبوته عن أحد من الصحابة بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام، بل الثابت عنه إرشاده عليه الصلاة والسلام إلى خلاف ذلك، كما في الصحيحين من حديث عائشة المتقدم قالت: فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ

عليه وسلَّم :﴿ذَاكِ لو كانَ وأَنَا حَيٌّ، فأسْتَغْفِرَ لَكِ وأَدْعُوَ لَكِ﴾[٢٨] ، ولم يقل النبي الكريم الرؤوف الرحيم لعائشة بعد موتي أقبلي إلى قبري فسليني الاستغفار والدعاء لأدعو الله وأستغفره لك لإجابته دعائي، كما هو اعتقاد الصوفية والأحباش، إذن، نقول للأحباش والصوفية: هل طلب الاستغفار من النبي عليه الصلاة والسلام بعد موته أفضل أم عدمه ؟ قلنا لهم: لا شك في كون جوابكم هو الأول، إذ؛ إنكم تشدون الرحال إلى قبره عليه الصلاة والسلام لتطلبوا الاستغفار منه عليه الصلاة والسلام مستدلين بالآية، ولو كان شد الرحال إلى قبره عليه الصلاة والسلام لطلب الاستغفار منه وعدمه سواء فما معنى تعبكم بشد الرحال إلى قبره عليه الصلاة والسلام لطلب الاستغفار منه؟ هل يكون هذا إلا فعل المجانين؟ إذن، ثبت إثباتكم أفضلية طلب الاستغفار من النبي عليه الصلاة والسلام بعد موته آتين إلى قبره عليه الصلاة والسلام لحشركم أنفسكم في جملة العقلاء.

انطلاقا من هذا نقول: هناك سؤال موجه إليكم والسؤال يكون كما يلي: هل النبي عليه الصلاة والسلام يحب زوجته عائشة أم يبغضها؟ وإن قلتم بالأول فنقول لكم: لماذا أخر النبي عليه الصلاة والسلام تعليم زوجته عائشة هذا الامر الذي يعتبر لديكم أفضل؟ كما في الحديث المتقدم مع كون المحب يحب الخير والأفضل لمن يحبه.

وإن قلتم بالثاني: فقد صادمتم نصا صريحا مما ثبت في الصحيحين من كون عائشة أحب الناس إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ﴿بعَثَهُ علَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فأتَيْتُهُ فَقُلتُ: أيُّ النَّاسِ

---

[٢٨] أخرجه ابن حبان (٦٥٨٦)، بلفظ مقارب، ومسلم (٢٣٨٧)، وابن ماجه (١٤٦٥)، بنحوه.

أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أبُوهَا، قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فَعَدَّ رِجَالًا﴾[٢٩].

وأيضا هناك ما يدل على صحة تقريرنا وبطلان تقريركم من كلام إمامكم الرازي حيث قال في تفسير الآية:

المسألة الثانية: لقائل أن يقول: أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة، فما الفائدة في ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم؟ قلنا: الجواب عنه من وجوه

الأول: أن ذلك التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله، وكان أيضا إساءة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وإدخالا للغم في قلبه، ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره، فلهذا المعنى وجب عليهم أن يطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم.

الثاني: أن القوم لما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم ذلك التمرد، فإذا تابوا وجب عليهم أن يفعلوا ما يزيل عنهم ذلك التمرد، وما ذاك إلا بأن يذهبوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ويطلبوا منه الاستغفار.

الثالث: لعلهم إذا أتوا بالتوبة أتوا بها على وجه الخلل، فإذا انضم إليها استغفار الرسول صارت مستحقة للقبول، والله أعلم. انتهى المقصود.

قلت: إذا أمعنت النظر أيها الصوفي في كلام الرازي ألا وهو: ﴿وكان أيضا إساءة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وإدخالا للغم في قلبه﴾، فستجد كلامه موافقا لنا ومخالفا

---

[٢٩] صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٦٦٢

لك؛ لأن إدخال المنافقين الغم في قلب الرسول عليه الصلاة والسلام بعدم تحاكمهم إلى ما أنزل الله إليه لا يمكن إلا في كون حياته عليه الصلاة والسلام؛ لأن إدخال الغم في القلب من خصائص الحياة الدنيوية وليس هناك دليل نقلي ولا حسي يثبت إدخال الحي في قلب الميت الغم، ومن زعم خلاف ذلك فعليه بالبرهان نقلا أو حسا.

وكذلك إذا أمعنت النظر في كلامه: ﴿ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره﴾، أي: من كان ذنبه متعديا إلى خرم حق الغير وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره.

إذن على المعنى الذي أثبتته الصوفية والأحباش من الآية يجوز للمسلم أن يأتي إلى قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام وإلى قبر غيره، ثم يقول يا رسول الله أو يا فلان ادع الله لي واستغفره لي مع ضمهم إليه ما قاله إمامهم الرازي مفسرا للآية: ﴿ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره﴾، يستفاد جواز الاستحلال في حق الغير بعد وفاته مع كون الحي آتيا إلى قبره ثم يقول له أستسمحك مما بدر مني من تعد في حقك ثم ينظر واقفا عند قبره أيسامحه أم لا، فهذا أمر غريب، أي عقل سليم يثبت ذلك؟ بل قد ترفضه عقول الصبيان، فضلا عن الشريعة الإسلامية لعدم نطق الميت بحيث يتمكن الحي على سماع نطقه، وهذا الأمر رفضه الشرع حيث ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام ما يضاد ذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه او شيء فليتحلله اليوم، قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه﴾[٣٠]. وقول رسول الله عليه الصلاة

---

[٣٠] أخرجه البخاري (٦٥٣٤)

والسلام في الحديث: ﴿فليتحلله اليوم﴾ الألف واللام في كلمة: ﴿اليوم﴾ للعهد الحضوري، كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، إذن، وقت طلب المسامحة محدد في يوم هذه الحياة دون يوم حياة البرزخ والآخرة.

إذن، ليس هناك رائحة الدلالة من الآية على تقريرهم العقيم عن الأدلة، بل الأدلة في صدد مخالفة تقريرهم الباطل، كما تقدم تقرير ذلك بالبرهان الساطع، ولو حاكمناهم بما قاله إمامهم الرازي مفسرا للآية كما تقدم ذلك فهم لا يزالون في غيهم يعمهون، إذ؛ إن تقرير الرازي خلاف تقريرهم: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

ش١٤ : إذا قال لك عباد الأموات والغائبين من الصوفية: إن الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره من الأولياء كانوا يسمعون من ناداهم من بعيد بقدرة الله تعالى عند كونهم في قيد الحياة.

الجواب: فقل له: إذن، أنتم مطالبون بالدليل السمعي من الكتاب والسنة دون القيل والقال بأن الشيخ عبد القادر وغيره يسمعون من ناداهم من بعيد عندما كانوا في قيد الحياة، حينئذ قبلنا منكم وسلمنا لكم، فأنى لكم ذلك، بل الدليل لنا عليكم، حيث أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿بما يقع فيمن بعده من عباد الله الصالحين كأويس القرني المرادي بأنه بار بأمه وهو خير التابعين كما ثبت في صحيح مسلم كانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إذَا أَتَى عليه أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ؟ حتَّى أَتَى علَى أُوَيْسٍ

فَقالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: مِن مُرَادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَكانَ بكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ منه إلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: لكَ وَالِدَةٌ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: يَأْتي علَيْكُم أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ مع أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ، مِن مُرَادٍ، ثُمَّ مِن قَرَنٍ، كانَ به بَرَصٌ فَبَرَأَ منه إلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، له وَالِدَةٌ هو بهَا بَرٌّ، لو أَقْسَمَ علَى اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لكَ فَافْعَلْ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ له. فَقالَ له عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: الكُوفَةَ، قالَ: أَلَا أَكْتُبُ لكَ إلى عَامِلِهَا؟ قالَ: أَكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إلَيَّ﴾[31].

وفي رواية لمسلم من حديث أسير بن جابر رضي الله عنه: أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن يسخر بأويس، فقال عمر: هل ها هنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال: ﴿إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم﴾[32]

قلت: في هذا الحديث الشريف إخبار النبي عليه الصلاة والسلام بأن في اليمن من قبيلة القرن رجلا صالحا مستجاب الدعاء، يقال له أويس القرني، ووصيته عليه الصلاة والسلام عمر باستغفار هذا الرجل له، ما دام الأمر كذلك نقول لعباد الأموات والغائبين: فهل هناك وصية النبي عليه الصلاة والسلام بطلب المدد من الشيخ عبد القادر الجيلاني في حياته، فضلا بعد موته في حديث واحد ثابت عنه عليه الصلاة والسلام؟ كما أوصى عمر

---

[31] صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٥٤٢

[32] أخرجه أحمد (٢٦٦)، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (٦/ ٣٧٦) واللفظ لهما، ومسلم (٢٥٤٢) بنحوه.

وغيره باستغفار أويس القرني له في حال حياته فقط، لقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث: ﴿فمن لقيه منكم فليستغفر لكم﴾، الجواب: لا، لم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام حديث واحد في ذلك قطعا، إذن، أنتم مفلسون من الدليل ومتبعون ما تهوى أنفسكم، كما قال رب العزة والجلال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

وفي الحديث أيضا رد على عباد الأموات والغائبين من الصوفية والأحباش للإرشاد النبوي لعمر بأن يطلب الاستغفار من حي حاضر قادر على الاستغفار، وهذا الارشاد مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث: ﴿فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿فمن لقيه منكم فليستغفر لكم﴾، وهذه الفقرة من الحديث تذعن إذعانا يقينيا بمفهومها على عدم طلب الاستغفار منه لمن لم يلقه.

واستطاعة عمر متوقفة على اللقي، عندما تحقق اللقي تحققت الاستطاعة حتى طلب عمر الاستغفار من أويس القرني، وأما قبل اللقي لم يكن عمر فاعلا ما أوصاه به النبي الكريم عليه الصلاة والسلام من أن يستغفر له أويس؛ لأن أويسا غائب عنه، ولأنه لا يسمع من بعيد وإن كان حيا، ولو كان يسمع من بعيد لما شرط النبي عليه الصلاة والسلام اللقي بقوله: ﴿فمن لقيه منكم فليستغفر لكم﴾.

وفي الحديث أيضا حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الالتقاء بخير التابعين أويس القرني لتحقيق وصية رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولعدم تفويت تحقيق هذه الوصية بموت أحدهما؛ لأنه إذا مات أحدهما فسوف يتعذر تحقيق هذه الوصية العظيمة النبوية، لو لم يكن تحقيقها متعذرا بموت أحدهما لما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث: ﴿يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن﴾؛ لأنه لا يتحقق ما أوصى به النبي

عليه الصلاة والسلام إلا بالإتيان واللقي، لو لم يكن كذلك لاستوى اللقي وعدمه، وإذا كان كذلك فما فائدة قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿فمن لقيه منكم فليستغفر لكم﴾ ؟ وما فائدة بحث عمر عن أويس القرني ليستغفر له؟ ولماذا لم يطلب عمر الاستغفار منه في حالة غيابه إن كان اللقي وعدمه سواء؟ ومما يؤكد بطلان زعم الصوفية والأحباش أيضا حديث أبي موسى الأشعري المتقدم، حيث قال فيه أبو موسى: قال أبو عامر: فَانْزِعْ هذا السَّهْمَ، فَنَزَعْتُهُ فَنَزَا منه المَاءُ، قالَ ﴿يا ابْنَ أخِي، أقْرِئِ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ السَّلَامَ، وقُلْ له: اسْتَغْفِرْ لِي. واسْتَخْلَفَنِي أبو عَامِرٍ علَى النَّاسِ، فَمَكُثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ علَى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في بَيْتِهِ علَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وعليه فِرَاشٌ، قدْ أثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بظَهْرِهِ وجَنْبَيْهِ، فأخْبَرْتُهُ بخَبَرِنَا وخَبَرِ أبِي عَامِرٍ، وقالَ: قُلْ له: اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أبِي عَامِرٍ. ورَأَيْتُ بَيَاضَ إبْطَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَومَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِن خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ. فَقُلتُ: ولِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وأَدْخِلْهُ يَومَ القِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا. قالَ أبو بُرْدَةَ: إحْدَاهُما لأبِي عَامِرٍ، والأُخْرَى لأبِي مُوسَى﴾[٣٣]. متفق عليه

قلت: لو كان السماع من بعيد ثابتا للشيخ عبد القادر وغيره ممن نحسبهم صالحين فرسول الله عليه الصلاة والسلام كان أولى بذلك؛ لأن أبا عامر لم يناد رسول الله عليه الصلاة والسلام مباشرة عندما طلب الاستغفار منه عليه الصلاة والسلام، وإنما أرسل أبا موسى ليخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام بطلبه الاستغفار منه عليه الصلاة والسلام، وكذلك لم يطلب أبو موسى الاستغفار منه عليه الصلاة والسلام إلا بعد حضوره عنده

---

[٣٣] أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨)

عليه الصلاة والسلام وليس قبله، إذن، هذه الأدلة تنسف مذهب عباد الأموات والغائبين والمستغيثين بهم من الصوفية نسفا. والله الموفق للصواب.

ش١٥: إذا قال لك الصوفي: يجوز لنا قولنا: يا شيخ عبد القادر هب لنا أولادا مستدلين بقول الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩]؛ لأن الضمير المستتر ﴿هو﴾ في فعل ﴿أهب﴾ يعود إلى جبريل، وجبريل مخلوق، إذن، إذا جاز نسبة إعطاء الولد إلى جبريل فإنه يجوز في حق الشيخ عبد القادر وغيره من الأولياء، فلا مانع من ذلك.

الجواب: فقل له: هذه الشبهة مردودة من وجوه عدة:

⬅**الوجه الأول في الرد عليك**: أنك بترت الآية حتى أخرجتها عن مضمونها الصحيح، إذ؛ الآية بسياقها الأتم ومضمونها الصحيح كانت هكذا : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦]، ﴿ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم: ١٧]، ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]، ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]،

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]،

تأمل أيها الصوفي هذه الأيات بسابقها ولاحقها حتى تفهمها فهما صحيحا مستقيما، كما أراده الله تعالى، والآية التي تمسكت بها مبتورة ومفصولة من أخواتها من هذه الآيات لا تدل على زعمك الباطل، وإنما تدل على إرسال الله تعالى جبريل عليه السلام ليعطي مريم غلاما بغير طلب منها، بخلاف صنيعكم بدليل قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، وبدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]، إذن، هاتان الآيتان تدلان على أن جبريل مرسل من رب العالمين ليعطي مريم ما أرسل به دون إعطائه لها إعطاء مباشرا بنفسه، وقد يقول لك الصوفي: ونحن أيضا لسنا معتقدين أن عبد القادر الجيلاني وغيره من الأولياء يعطون أمرا ما إعطاء مباشرا دون الله وإنما هم سبب بدعائهم رب العالمين لنا ليرزقنا ما نطلبه، فقل له: إذن، يلزمك كون جبريل دعا ربه لمريم بأن يرزقها غلاما بما أن الآية ليست في صدد دعاء جبريل لمريم عليهما السلام، وإنما هي في صدد إرسال الله تعالى جبريل مبشرا مريم بغلام ذي درجة عالية، كما قال الله تعالى :﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، إن لم تلتزم باللازم المذكور فلا يتم استدلالك بالآية على ما تعتقده؛ لأن الآية ليس فيها ذكر دعاء جبريل لمريم، إذن، صار ما تستدل عليه بالآية خلاف مضمون الآية، ويلزم على استدلالك بها على ما تعتقده أيضا أن عبد القادر الجيلاني وغيره ممن نحسبهم صالحين مرسلون إليك وإلى غيرك من أمثالك لإعطائهم إياكم ما تطلبونه، كإرسال الله جبريل عليه السلام إلى مريم ليعطيها غلاما، إذ؛ إنك مستدل بالآية التي مضمونها ذلك: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا

رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]، إذن، الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره مرسلون إليكم من الله تعالى لإعطائهم إياكم ما تطلبون، هل تلتزم بهذا اللازم؟

إن كنت ملتزما به فقد وقعت في خطر جسيم؛ لعدم وجود دليل شرعي من الكتاب والسنة يثبت ذلك، ولأنه يلزمك إثباتك التقاءك بالشيخ عبد القادر الجيلاني كما التقت مريم بجبريل عليه السلام كما في الآيات المتقدمة.

وإذا ادعيت التقاءك بالشيخ عبد القادر الجيلاني فسوف نقول لك في أي مكان التقيت به وأرنا التقاءك به حتى نستمع إلى كلامه مكلما لك بقوله: ﴿أنا مرسل من ربك إليك لأهب لك ولدا﴾، كما ثبت ذلك بين مريم وجبريل عليهما السلام، فحينئذ نصدقك، وإن لم تستطع أن ترينا ذلك فأنت أفاك أثيم.

وإن لم تلتزم باللازم المذكور فيكون استدلالك بالآية باطلا في غير محله، بعيدا عن المنهج العلمي في الاستدلال منهج السلف الصالح.

والوجه الثاني في الرد عليك: أن مضمون الآية في واد واستدلالك بها على فعلك في واد آخر؛ لأنك وجهت السؤال إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره ممن ظهر منهم الصلاح قائلا: ﴿يا شيخ فلان أعطني ولدا﴾، بخلاف مضمون الآية، والآية لم تدل على فعلك هذا، لا من قريب ولا من بعيد، ومعنى ذلك أن مريم عليها السلام لم تسأل جبريل عليه السلام أن يعطيها غلاما، بل لم تسأل الرب ذلك، وإنما أراد الله أن يعطيها إياه بغير طلب منها ليجعله آية للناس ورحمة منه، حيث قال الله تعالى عنها: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]، ثم قال جبريل عليه السلام مجيبا على ما قالت كما حكاه الله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً

لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]، إذن، ما علاقة فعلك بمضمون هذه الآية ؟!

↩**والوجه الثالث في الرد عليك**: مخالفة تقريرك السابق، ألا وهو: ﴿إن الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره ممن نحسبهم صالحين يدعون الله لنا ليرزقنا ولدا﴾، تقرير النبي عليه الصلاة والسلام كما في الحديث المتقدم ﴿ذَاكِ لو كانَ وأَنَا حَيٌّ، فأَسْتَغْفِرَ لَكِ وأَدْعُوَ لَكِ﴾[٣٤]. متفق عليه. وفي الحديث تقييد النبي عليه الصلاة والسلام الدعاء والاستغفار لعائشة في حال حياته دون مماته، وحكم المقيد مخالف لحكم المطلق، إذن، طلب الدعاء لا يكون إلا من الحي كما قرر ذلك حديث عائشة المتقدم، إذن، التقرير الصوفي مناف لتقرير النبي عليه الصلاة والسلام. والله الهادي إلى سواء الصراط.

ش١٦: إذا قال لك الصوفي: إن الله تعالى أمرنا بأن نستعين بغيره، حيث قال في كتابه الكريم: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، لا شك في كون الصبر والصلاة غير الله قطعا، إذن، تجوز لنا استعانتنا بالأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين.

الجواب: فقل له: هل الاستعانة بالصبر والصلاة عبادة أم لا؟ فإن قال: هي عبادة، فقل له: إذن، الاستعانة بالأموات عبادة؛ لأنك استدللت بالآية التي مفادها العبادة، وإذا

---

[٣٤] أخرجه ابن حبان (٦٥٨٦)، بلفظ مقارب، ومسلم (٢٣٨٧)، وابن ماجه (١٤٦٥)، بنحوه.

كانت استعانة الأموات عبادة فصرف العبادة لغير الله شرك أكبر مخرج من الحنيفية السمحة. وإن قال: هي ليست عبادة، فقل له: فقد أتيت بأمر غريب، إذ؛ إن الله كيف يأمر بغير العبادة قائلا: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]،

وقل له: أيضا يفضيك قولك بجواز الاستعانة بالأموات مستدلا بالآية إلى قولك بجواز: ﴿يا صبر أعني ويا صلاة أعينيني﴾؛ لأنك مستدل بالآية لتقرير كلامك: ﴿يا شيخ عبد القادر الجيلاني أعني﴾، وتجويز القول: ﴿يا صبر أعني ويا صلاة أعينيني﴾، لا يقول به عاقل، فضلا عمن يدعي العلم؛ لأن الصبر والصلاة غير سامعين لصوت مناديهما، وهذا متفق عليه بين العقلاء.

إذا قال لك الصوفي: أنا ما استدللت بالآية من هذه الحيثية، أي: حيثية ﴿يا صبر أعني ويا صلاة أعينيني﴾، وإنما استدللت بها من حيث دلالتها على حصول انتفاع العبد بعون غير الله له.

فقل له: إذن، اتفقت معي بأن الصبر والصلاة لا ينادان، بما أن الاستعانة لا تحصل إلا بأحد أمرين، وهما النداء والفعل، فإذا لم ينادا بأي شيء تحصل الاستعانة المأمورة من الله؟ الجواب قطعا: لا تحصل إلا بالفعل. إذن، الآية دالة على الاستعانة بالفعل بغير الله مع كون المستعان به سببا جعله الله سببا، لو لم يكن كذلك لما قال الله تعالى :﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، لأن الشيء إما أن يكون سببا وإما أن يكون مؤثرا بنفسه، وما نحن بصدده لا يكون إلا من الأول، ومن جعله من الثاني فقد كفر كفرا بواحا؛ لأنه أثبت مؤثرا آخر مع الله، وهذا كفر باتفاق الأمة، إذن، لم يبق معنا إلا كون الصبر والصلاة سببين فعليين، ما دام الأمر كذلك نقول لك: استدلالك بآية فيها سبب فعلي صادر من الله على سبب قولي ندائي لم يصدر من الله ألا وهو: ﴿يا

شيخ فلان أعني﴾ من أعظم الفرية على الله؛ لأن الدليل المستدل به في واد، وما يستدل عليه في واد آخر، إذ؛ إن الشارع لم يأمرنا بنداء الأموات طالبين العون منهم، بل ورد التنزيل بنقض هذا التقرير القبوري الفاسد، حيث قال ربنا جل جلاله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

لأن الأموات غير صالحين لأن يكونوا سببا في العون للأحياء، بل هم محتاجون من الأحياء إلى من يكون سببا في العون لهم، ولذلك شرع الشارع الحكيم بالدعاء والاستغفار للأموات كدعاء صلاة الجنازة وغيره، وقد قرر هذا المعنى الإمام الطحاوي، حيث قال: ﴿وفي دعاء الأحياء منفعة للأموات والله يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات﴾ انتهى كلامه رحمه الله تعالى من العقيدة الطحاوية.

قلت: يستجيب الله دعوات من؟ دعوات الأحياء ويقضي حاجات الأموات من غير عكس، والعكس مذهب الصوفية المعكسة للأدلة، ومضمون الآية مذهب أهل التوحيد والسنة المجاهدين لهؤلاء معكسي الأدلة من الأحباش والصوفية.

والآية المتقدمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، تفيد الحصر لتقدم المعمول على العامل فيها، إذ؛ كان أصلها: ﴿ نَعْبُدُ إِيَّاكَ ﴾، و ﴿ نَسْتَعِينُ إِيَّاكَ ﴾، وتقدم المعمول متحقق بتقديم: ﴿ إِيَّاكَ ﴾، في الجملتين على: ﴿نَعْبُدُ﴾، وعلى: ﴿نَسْتَعِينُ﴾، إذن، نقول للصوفي: هل تستفيد من آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حصر العبادة في الله تعالى، سيقول لنا: نعم، إذن، نقول له: فلتستفد حصر الاستعانة في الله جل جلاله فيما لا يقدر عليه إلا هو وفيما لم يجعله سببا فعليا من آية ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، كي تكون قاعدة ﴿تقديم المعمول يفيد الحصر﴾ فيهما مطردة.

وكذلك قل له: قولك بجواز الاستعانة بالأموات ممن تزعمهم أنهم صالحون يفضيك إلى قولك بأنهم أرفع منزلة من الصبر والصلاة، إذ إنك لم تجز لقائل قوله: ﴿يا صبر أعني ويا

صلاة أعينيني﴾، مع تجويزك هذا الأمر في حق من تزعمهم أنهم صالحون من الأموات أو الغائبين، بقولك: ﴿يا شيخ فلان أعني﴾، هنا نقول لك: بماذا صار الصالحون صالحين ؟ تقول لنا لزاما عليك: بصبرهم وصلاتهم وغيرهما من العبادات، إذن، عدم تجويزك قول من قال: ﴿ يا صبر أعني ويا صلاة أعينيني ﴾، مع تجويزك ذلك في حق أوليائك من الأموات أو الغائبين يستلزم جعلك هؤلاء الأموات أو الغائبين أرفع منزلة من الصبر والصلاة، وإلا لما تجرأت على مقولتك تلك.

ونقول لك: أيضا هل الصبر والصلاة أرفع عندك درجة أم الأولياء؟ إذا قلت بالأول: فنلزمك بأن تقول بجواز قول: ﴿يا صبر أعني ويا صلاة أعينيني﴾؛ لأنك جوزته في حق من هو أنزل رتبة من الصبر والصلاة، إذن، كون تجويزك في الأرفع رتبة أولى وأحرى.

وإذا قلت بالثاني: تزندقت؛ لأن أولياء الله الصادقين ما صاروا مرفوعي قدرهم إلا بالصبر والصلاة ونحوهما من العبادات، إذن، فكيف يكون ما كان سببا للرفعة أنزل من المرفوع بذلك السبب؟ هذا محال بالاتفاق.

وإن قال لك: عدم تجويزي قول من يقول: ﴿يا صبر أعني ويا صلاة أعينيني﴾، يكون لعدم ثبوت السماع للصبر والصلاة بالنسبة إلى من ناداهما، وليس لأمر آخر، فقل له: والأموات كذلك لم يثبت لهم السماع المطلق حتى يتمكنوا لعون من ناداهم، كما سبق تقرير ذلك بالأدلة الساطعة. والله ولي التوفيق.

ش١٧: إذا قال لك الصوفي: يجوز لنا قولنا: يا شيخ عبد القادر الجيلاني أغثنا، ليقربنا إلى الله، إذ؛ إنه من الصالحين المقربين إليه.

الجواب: فقل له: هل يجوز القول يا ود ويا سواع ويا يغوث ويا يعوق ويا نسر أغيثونا؟

إن أجابك: بنعم، فقل له: بماذا كفر كفار قوم نوح. أليس بعبادتهم ودعائهم هؤلاء النفر أم باعتقادهم فيهم بأنهم خالقون ومالكون ومدبرون للأمور؟ والجواب: هو الأول، والدليل على أن الجواب هو الأول قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، وقال ابن عباس: هذه أسماء رجال صالحين مِن قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إلى قَوْمِهِمْ: أنِ انْصِبُوا إلى مَجَالِسِهِمُ الَّتي كَانُوا يَجْلِسُونَ أنْصَابًا، وسَمُّوهَا بأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حتَّى إذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ[٣٥].

وقال بن جرير الطبري في تفسيره: كان هؤلاء نفرا من بني آدم فيما ذكر عن آلهة القوم التي كانوا يعبدونها. انتهى المقصود.

قلت: هذه الآية مع تفسيرها لابن عباس وابن جرير تدل على أن كفار قوم نوح لم يعبدوا ويدعوا هؤلاء النفر إلا ليتقربوا بعبادتهم ودعائهم إياهم إلى الرب الخالق المالك المدبر للأمور الله الذي بيده ملكوت كل شيء، لا ليتقربوا إليهم بعبادتهم إياهم معتقدين أنهم خالقون ورازقون ومالكون ومدبرون.

ومصداق ذلك قول من يعتبر إماما لدى الصوفية والأحباش ألا وهو فخر الدين الرازي، حيث قال في تفسير الآية: الوجه الرابع: أنه كان يموت أقوام صالحون، فكانوا يتخذون تماثيل على صورهم، ويشتغلون بتعظيمها، وغرضهم تعظيم أولئك الأقوام الذين ماتوا حتى يكونوا شافعين لهم عند الله، وهو المراد من قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، انتهى المقصود.

---

[٣٥] صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٤٩٢٠

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وخالقا ومدبرا؛ لأن الذي يحصل بجعل موسى وتقديره لا يمكن أن يكون خالقا للعالم ومدبرا له، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل، والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى، وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان، حيث قالوا :﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، إذا عرفت هذا فلقائل أن يقول: لم كان هذا القول كفرا؟ فنقول: أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن عبادة غير الله تعالى كفر، سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلها للعالم أو اعتقدوا فيه أن عبادته تقربهم إلى الله تعالى؛ لأن العبادة نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام. انتهى المقصود.

تأمل أيها الصوفي في كلام إمامك الرازي: ﴿ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل﴾، إذ؛ حكم الرازي بعدم كمال العقل على من حصل منه مجرد الشك في أن قوم موسى لم يكونوا معتقدين عند سؤالهم له بأن يجعل لهم إلها غير الله، خلق وتدبير ذلك الإله الغير للعالم، إذن، كيف يكون حكم الرازي على من تجاوز شكه إلى اليقين في هذا الصدد؟ ولا شك لأحد في كون حكم الرازي متجاوزا من وصف نقص العقل إلى وصف بالجنون، فمن جن فالقلم عنه مرفوع، وبالتالي كلامه مردود، هذا هو حكم إمامكم الرازي عليكم، إذن، نستفيد من التقارير المذكورة عدم جواز القول: ﴿يا شيخ عبد القادر الجيلاني أغثنا﴾؛ لأنه نفس شرك المشركين الأولين. وبالله التوفيق.

ش ١٨: إذا قال لك الصوفي: تقسيمكم التوحيد إلى ثلاثة أقسام بما فيها توحيد الألوهية أمر مخترع، اخترعه ابن تيمية ليكفر المسلمين، دون أن يسبقه إليه أحد من الأئمة.

الجواب: فقل له: هذا كذب صراح؛ لأن هناك من سبق إلى هذا التقسيم من الأئمة كأبي حنيفة رحمه الله تعالى في رسالته، {الفقه الأبسط}، حيث قال: ﴿والله يدعى من أعلى لا من أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية من شيء﴾[٣٦]، شاهدنا من كلام أبي حنيفة واضح للغاية، والإمام الطحاوي في رسالته، {العقيدة الطحاوية}، حيث قال: ﴿نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره﴾[٣٧] انتهى المقصود.

ركز أيها الصوفي من كلام الطحاوي في: ﴿ولا إله غيره﴾ بعد أن قال نقول: في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله، ليتبين لك جعل الإمام الطحاوي ﴿ولا إله غيره﴾ قسما من التوحيد صرح به رحمه الله تعالى، وهذا القسم هو الذي قلتم فيه اخترعه ابن تيمية دون القسمين الباقيين؛ لأنكم تثبتونهما من حيث الجملة عندما تقررون التوحيد بقولكم: ﴿الله واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعاله﴾، لم تنكروا توحيد الأفعال، وهو ما يسمى عندنا بتوحيد الربوبية، ولم تنكروا

---

[٣٦] 《الفقه الأبسط》 ص (٥١)

[٣٧] 《العقيدة الطحاوية》

توحيد الصفات، وهو ما يسمى عندنا أيضا بتوحيد الأسماء والصفات، إذن، خلافكم معنا في إثبات توحيد الألوهية قسما ثالثا للتوحيد، فنحن أثبتناه متبعين للسلف، كما تقدم تقريره، وأنتم نفيتموه مخالفين لهم، ولمن تزعمون أنهم من أئمتكم كالرازي والقرطبي مع كذبكم على شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه هو المخترع لهذا القسم من التوحيد. فالله المستعان.

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره: وأما معنى قوله: {لا إله إلا هو} فإنه خبر من الله جل وعز، أخبر عباده أن الألوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والأنداد وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبية، وتوحده بالألوهية، وأن كل ما دونه فملكه وأن كل ما سواه فخلقه، لا شريك له في سلطانه وملكه. انتهى المقصود.

تأمل أيها الصوفي في قوله، {لانفراده بالربوبية وتوحده بالألوهية}، ليتضح لك افتراء من افترى على العلامة الإمام ابن تيمية بنسبة اختراع هذا التقسيم للتوحيد إليه. وإلى الله المشتكى.

وقال الرازي في تفسير آية: ﴿وإلهكم إله واحد﴾، معناه أنه واحد في الإلهية؛ لأن ورود لفظ الواحد بعد لفظ الإله يدل على أن تلك الوحدة معتبرة في الإلهية لا في غيرها. انتهى المقصود.

إذن، قرر الرازي ما قرره السلف من أن الله واحد في الألوهية، أي: العبودية.

وقال القرطبي في تفسير آية: ﴿لا إله إلا هو﴾، نفي وإثبات، أولها كفر وآخرها إيمان، ومعناه لا معبود إلا الله. انتهى المقصود.

قلت: في كلامه حصره العبادة في الله تعالى دون ما سواه، أليس هذا هو التوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل أممها؟

وكذلك هناك من سبق في هذا التقسيم من أئمة الإسلام، ألا وهو **الإمام أبو عبد الله ابن بطة العكبري المتوفى ﴿٣٨٧﴾، حيث قال رحمه الله تعالى رادا على الجهمية**[٣٨]: "وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء.

- **أحدها**: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا.
- **الثاني**: أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.
- **والثالث**: أن يعتقده موصوفا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه، إذ؛ قد علمنا أن كثيرا ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته، فيكون إلحاده في صفاته قادحا في توحيده، ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة في هذه الثلاث والإيمان بها، فأما دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا ها هنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأن الجهمي يدعي

---

[٣٨] في كتابه 《 الإبانة الكبرى 》 { ٢/ ٣٥٦}

لنفسه الإقرار بهما، وإن كان جحده للصفات قد أبطل دعواه لهما" . انتهى المقصود من كلامه.

قلت: هذا هو التقسيم الثلاثي الصادر للتوحيد من الأئمة المتقدمين دون أن يخترعه الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وأسكننا وإياه فسيح جنانه، إذا تقرر الأمر كذلك أين يذهب هؤلاء الكذابون الأفاكون على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عندما يقفون بين يدي ربهم، ويكلمهم بلا ترجمان، فيقتص للمظلوم ممن ظلمه! فالله المستعان على ما يصفون.

ش١٩: إذا قال لك الصوفي: إن دعاءنا الأولياء لا يعتبر عبادة؛ لأن العبادة لا تكون إلا إذا كان معها غاية التذلل والخضوع، ونحن ما بذلنا غاية التذلل والخضوع لهم لما دعوناهم.

الجواب: فقل له: بل بذلت غاية التذلل والخضوع عند دعوتك لغير الله من الأموات والغائبين، إذ؛ إن الدعاء عبادة، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: {الدُّعاءُ هوَ العبادةُ[٣٩]}. إذا لم تتصور العبادة إلا مع غاية التذلل والخضوع لا تتصور الدعاء إلا كذلك؛ لأن الدعاء عبادة، وما يشترط في العبادة من غاية التذلل والخضوع يشترط في الدعاء، إذ؛ الدعاء عبادة، بما أنك تثبت بأنك داع غير الله من الأموات والغائبين، لكنك

---

[٣٩] أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجة (٣٨٢٨)

تنفي جعلك غاية التذلل والخضوع في دعوتك إياهم مع كون هذا النفي لا يتجاوز اللسان لتكذيب الواقع له منك ومن أضرابك، ولا يجديكم هذا النفي شيئا مع مصادمته للدليل المتقدم من أن ﴿الدعاء هو العبادة﴾.

وكذلك ذهابكم إلى الأضرحة لتدعوا من فيها من المدفونين ممن تعتقدون فيهم الصلاح والقرب إلى الله حتى اعتقدتم بدعائكم إياهم التقرب إلى الله تعالى وما تفعلونه حول الأضرحة من السجود والانكباب عليها وأكل التراب وغيرها هي نفسها غاية التذلل والخضوع التي هي غير مصروفة منكم لله تعالى، لكنكم صرفتموها لمن تزعمونهم أنهم أولياء لله، فهل فوق هذا التذلل والخضوع تذلل وخضوع؟

مع ما حصل منكم من إثباتكم لمن تدعونهم من الأموات والغائبين صفات الرب جل جلاله بحيث تثبتون لهم معرفة علم الغيب، والسماع لما غاب بدعائكم إياهم، لو لم تعتقدوا ذلك ما اجترأتم على دعائكم إياهم؛ لأن من لم يثبت السماع ومعرفة الغيب لمن يدعوه من الأموات والغائبين فاقد العقل مجنون، وبهذا تعتبرون مشبهة للمخلوق بالخالق العظيم، وهذا كفر متحقق مع كونكم مكفرين من أثبت صفات الإله كما يليق بجلاله متوهمين أنه شبه الخالق بالمخلوق، وها هو تشبيهكم الحقيقي غير الوهمي.

وكذلك أثبتم لمن تخضعون وتتذللون لهم بدعائكم إياهم بأنهم يسمعون أصوات كثير ممن ينادونهم بحاجاتهم المختلفة في مشارق الأرض ومغاربها في آن واحد، ثم يجيبون لمن سألهم بمسألته، بحيث لا يشغلهم شأن عن شأن، وعلى هذا يشهد واقعكم مع أن هذا الوصف وصف خاص برب العالمين، وهذا أيضا تشبيه صادر منكم للمخلوق بالخالق، هل تجترئون على تكفير أنفسكم؟ فالله المستعان.

ش٢٠: إذا قال لك الصوفي: إن ربنا لقادر على منح من ناديه من الأولياء القوة والقدرة على ذلك، لذا جاز دعاؤنا إياهم.

الجواب: فقل له: هل منح الله القوة والقدرة لمن تزعمون أنهم أولياء الله أمر دليلي مقطوع به من قبل الشارع أم أمر محتمل؟ فإن قال بالأول، فقل له: إذن، نطالبك بالدليل كتابا وسنة وفهما لسلفنا الصالح، فأنى له ذلك، وإن قال بالثاني فقل له: إذن، لا خصوصية لأوليائكم في أنهم يستغاث بهم؛ لأنه أمر محتمل يحتمل وقوعه وعدمه، وهذا لا يمتاز به أولياؤكم، بل يجوز في بقية الخلائق مثل: الحيوانات والجمادات، فضلا عن العقلاء، فمنح الله القوة والقدرة لهؤلاء ممكن، وهل هناك منكم من يجرأ على القول بعدم إمكان إقدار الله لهؤلاء الحيوانات والجمادات، فضلا عن العقلاء؟ الجواب سلبي؛ لأنكم توافقوننا في إثبات قدرة الله العامة لكل شيء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، إذن، يلزمكم على حسب تقريركم أن تنادوا الحيوانات والجمادات بعد موتها وفنائها، بحيث أن تقولوا: "يا حمار أغثنا ويا كلب أغثنا ويا حجر أغثنا ونحو ذلك" وهذا الأمر لا يقول به عاقل مع كون الحيوانات في قيد الحياة، وأما بعد موتها فلا يتصوره، فضلا عن القول به، إذن، تقرر أن ليس هناك امتياز أوليائكم بالأمر مع إثباتكم الامتياز لهم به بغير علم وجهل مفرط قبيح، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [الحج: ٨]، ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٩]، وأيضا إثباتكم لأوليائكم سماع سؤالات من سألهم من مشارق الأرض ومغاربها في وقت واحد بحيث لا يشغلهم شأن سؤال سائل عن شأن سؤال سائل آخر بحجة قدرة الله تعالى على منحهم ذلك يفضيكم

إلى أن تثبتوا تشبيه الرب بعض مخلوقاته بنفسه؛ لأن هذا الوصف وصف رباني خاص به.والله ولي التوفيق.

ش٢١ : إذا قال لك الصوفي: نحن ما عبدنا ودعونا الأموات من الأولياء، وإنما ناديناهم، وهناك فرق بين الدعاء والنداء، من حيث إن الدعاء عبادة، والنداء ليس كذلك.

الجواب: فقل له قد أخطأت وضللت عن الصواب لأن الله تعالى لم يفرق بينهما بل جعلهما شيئا واحدا.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢] ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤] في هذه الآيات الكريمات جعل الله الدعاء والنداء أمرين مترادفين في المعنى بحيث أن ذكر في أولها النداء بقوله: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [سورة مريم: ٣] وفي ثانيها الدعاء بقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤] وبهذا التقرير بطل زعم الصوفي من أنهما مختلفان.

وقل له: أيضا ماذا تقصد بالنداء؟ أتقصد نداء شخص شخصا آخر كما ينادي الأب الابن ليقبل عليه؟ بقوله: ﴿يا فلان﴾ وكما نادت الملائكة زكريا عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا

﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩] بدون طلب الملائكة شيئا من زكريا عند ندائها له؟ هذا هو مرادك ومراد أضرابك بالنداء المفترق من الدعاء في اعتقادكم ولكن يكذبه قولكم وفعلكم عند ندائكم من تحسبون أنهم صالحون كالشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره من الأموات لقولكم ﴿يا شيخ عبد القادر الجيلاني أغثنا﴾ لأن هذا ليس نداء مجردا عن الطلب بل هو دعاء المضطر المتضمن للطلب كما نادى الله بذلك أيوب عليه السلام حيث قال الله جل وعلا عنه: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]

تمعن أيها الصوفي في هاتين الآيتين الكريمتين نداء عبد الله ونبيه أيوب عليه السلام ربه وهو في أمس الحاجة إلى أن يكشف الله تعالى عنه ما به من ضر فاستجاب الله له نداءه أي: دعاءه فكشف ما به من ضر وهذا الكشف الحاصل للضر من الله تعالى عن عبده ورسوله أيوب يضطرنا بالجزم بأن المراد بالنداء في الآية الأولى الدعاء بل دعاء المضطر الذي قال الله فيه ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] بناء على هذا قولهم ﴿يا شيخ عبد القادر الجيلاني أغثنا﴾ يكون دعاء المضطر ليس نداء مجردا عن الطلب، وبهذا التقرير بان الحق لكل عاقل فضلا عمن لديه شيء من العلم ألا وهو بطلان حصول الفرق بين الدعاء والنداء الصوفي والله ولي التوفيق.

ش٢٢: إذا سلم لك الصوفي بأن الدعاء والنداء أمران مترادفان في المعنى فسوف يقول لك: نحن ما دعونا الأموات من الأولياء طالبين منهم ما ندعو به، بل إنما ندعوهم ليدعوا الله لنا في حوائجنا .

الجواب: فقل له هل الدعاء عبادة أم لا؟

إن أجابك بالثاني أي: بأن الدعاء ليس عبادة فعليك بالاحتجاج عليه بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦] وبقول رسول الله عليه الصلاة والسلام من حديث النعمان بن بشير ﴿الدُّعاءُ هو العبادةُ﴾[٤٠].

قلت: إن في هاتين الآيتين الكريمتين إثبات الرب سبحانه كون الدعاء عبادة حيث ذكر تعالى في أول الآية الدعاء بقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو﴾ وفي ختام الآية الثانية العبادة بقوله: ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ إذن، ثبت تسمية الرب عز وجل الدعاء عبادة في الآيتين.

وفي الحديث أيضا إثبات النبي عليه الصلاة والسلام كون الدعاء عبادة.

وإن أجابك بالأول أي: بأن الدعاء عبادة فقل له حكمت بنفسك على نفسك بأنك مشرك بالله في عبادته لصرفك الدعاء للأموات من دون الله لو لم تعتقد أن المصروف له الدعاء هو النافع والضار بنفسه، لأن المشركين الأولين ما كانوا معتقدين لذلك عند عبادتهم غير الله من الأصنام والنبيين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ

---

[٤٠] أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجة (٣٨٢٨)

الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر: ٣]

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له خالصة لا شرك لأحد معه فيها، فلا ينبغي ذلك لأحد لأن كل ما دونه ملكه وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيئا.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر: ٣] يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم ويعبدونهم من دون الله يقولون لهم ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زلفى قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا. انتهى المقصود.

وروى الطبري أيضا عن قتادة في تفسير الآية: قالوا ما نعبد هؤلاء إلا ليقربونا إلا ليشفعوا لنا عند الله. انتهى المقصود.

قلت : نستفيد من تفسير قتادة والطبري رحمهما الله تعالى عدم الفرق بينك وبين المشركين الأولين لاتحاد مقصدكما ألا وهو التزلف والتقرب إلى الله تعالى بعبادتكما الأولياء، مع ما يلزمك على زعمك من أنك تدعو الأولياء ليدعوا الله تعالى لك عدم انقطاع عبادتهم وهم في قبورهم، لأن دعاءهم ربهم لك ولأضرابك بأن تقضى حوائجكم عبادة لله سبحانه، وهذا يستلزم عدم انقطاع عمل الإنسان بعد موته وهو معارض لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ, أو علمٍ يُنتفَعُ به, أو ولد صالح يدعو له [٤١]﴾ أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

---

[٤١] أخرجه مسلم (١٦٣١)، وابن أبي الدنيا في ((النفقة على العيال)) (٤٣٠) واللفظ له.

نقول لك هنا أيها الصوفي: إذا جاز وقوع الدعاء لكم من أوليائكم وهم في قبورهم مع أن الدعاء عبادة يجزى بها العبد جزاء أوفى وأحسن إن كان مخلصا لله في دعائه وهذا مما لا تشكون فيه أي: في إخلاص دعاء من تقرون لهم قاطعين بأنهم أولياء لله فجائز وقوع بقية العبادات منهم، فلا مانع من ذلك، وهذا يستلزم تسوية الحياة والممات، إذا تساوت الحياة والممات فسوف يستطيع الإنسان استدراك ما فاته في الحياة الدنيا من الأعمال الصالحة وهو في قبره، وهذا ينقض قول النبي عليه الصلاة والسلام الثابت عنه من حديث عبدالله بن عمر ﴿ إن الله يقبلُ توبةَ عبدهِ ما لم يُغَرْغِرْ [٤٢]﴾ . إذ؛ إن التوبة من جملة الأعمال الصالحة، مع استلزام هذا القطع كون المقطوع به بأنه من أهل الجنة، وهذا حكم في الغيبيات، والحكم فيها لا يجوز، لأن الله تعالى قال: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨] ولأننا لا نشهد لأحد بعينه بأنه في الجنة إلا من شهد له الكتاب والسنة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة قاطبة سلفا وخلفا.

إذا تقرر الأمر كذلك فبطلان دعوى الصوفية والأحباش من أنهم يدعون الأولياء ليدعوا لهم ربهم بقضاء حاجاتهم وهم في قبورهم ظاهر البطلان. والله الهادي إلى سواء الصراط.

ش٢٣: إذا قال لك الصوفي: بين دعائنا لغير الله ودعاء المشركين الأولين فرق، بحيث إننا ندعو الصالحين والمقربين إلى الله ليشفعوا لنا عنده، وهؤلاء يدعون الأصنام .

---

[٤٢] أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وأحمد (٦١٦٠)

الجواب : فقل له: هذا التفريق تفريق ما أنزل الله به من سلطان بل الدليل الشرعي نزل بخلافه، حيث قال الله تعالى في كتابه: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر: ٣] وقال من تعتبرونه إماما لكم الرازي في تفسير هذه الآية: واعلم أن الضمير في قوله: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر: ٣] عائد على الأشياء التي عبدت من دون الله، وهي قسمان العقلاء وغير العقلاء، أما العقلاء فهو أن قوما عبدوا المسيح وعزيرا والملائكة، وكثير من الناس يعبدون الشمس والقمر والنجوم ويعتقدون فيها أنها أحياء عاقلة ناطقة، وأما الأشياء التي عبدت مع أنها ليست موصوفة بالحياة والعقل فهي الأصنام، إذا عرفت هذا فنقول : الكلام الذي ذكره الكفار لائق بالعقلاء، أما بغير العقلاء فلا يليق وبيانه من وجهين :

↩**الأول**: أن الضمير في قوله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ ضمير للعقلاء فلا يليق بالأصنام.

↩**الثاني**: أنه لا يبعد أن يعتقد أولئك الكفار أنها تقربه إلى الله، وعلى هذا التقدير فمرادهم أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله، ويمكن أن يقال: إن العاقل لا يعبد الصنم من حيث إنه خشب أو حجر وإنما يعبدونه لاعتقادهم أنها تماثيل الكواكب أو تماثيل الأرواح السماوية أو تماثيل الأنبياء والصالحين الذين مضوا، ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات إلى تلك الأشياء التي جعلوا هذه التماثيل صورا لها. انتهى المقصود.

وهناك دليل آخر من السنة مؤيد لما قرره الرازي من حديث ابن عباس : ﴿قال أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لَمَّا قدمَ مَكَّةَ أبى أن يدخُلَ البيتَ وفيهِ الآلِهَةُ ، فأمرَ بِها فأُخْرِجَت ، قالَ: فأُخْرِجَ صورَةُ إبراهيمَ وإسمعيلَ وفي أيديهِما الأزلامُ ، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ : قاتلَهُمُ اللَّهُ واللَّهِ ، لقَد علِموا ما استقسَما بِها قطُّ ، قالَ: ثمَّ دخلَ البيتَ فَكَبَّرَ في

نواحيهِ وفي زواياهُ ، ثمَّ خرجَ ولم يصلِّ فيه[٤٣] ﴾ شاهدنا من الحديث وجود صورة إبراهيم وإسماعيل في الكعبة معبودين عند المشركين .

وهناك دليل من القرآن يدل على بطلان زعمهم، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] هل يمكن في حق الأصنام أن يقال ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أو ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ﴾ أو ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ الجواب لا يمكن ذلك، إذن، ما قررته الصوفية والأحباش صار مجرد ادعاء خال من البرهان، وهذه الأدلة من الكتاب والسنة وتفسير إمامهم الرازي تدل على بطلان التفريق بين دعائهم ودعاء المشركين الأولين، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢] .

ولو كان الأمر كما يدعون أي: أنهم يدعون الأولياء والصالحين والمشركون الأولون يدعون الأصنام فليس هناك فرق بينهما لأن المقصد الوحيد في الشرع ألا يعبد إلا الله تعالى، وإذا أشرك المرء بالله في عبادته صنما أو نبيا أو وليا أو غير ذلك فيحكم عليه بأنه مشرك كافر بدون تفريق بين من عبد مع الله الصنم أو النبي إذ؛ مقصود الشارع ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ٢] فلله الحمد على نعمة العقل الصحيح والإسلام.

---

[٤٣] أخرجه أبو داود (٢٠٢٧) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٤٢٨٨) باختلاف يسير، ومسلم (١٣٣١) بنحوه مختصراً

ش٢٤ : إذا قال لك الصوفي: إن الميت يعين وينفع الحي، بدليل انتفاع النبي عليه الصلاة والسلام بتوجيه موسى له في تخفيف عدد الصلوات، عند التقائهما في السماء في ليلة المعراج.

الجواب : فقل له: الدليل صحيح واستدلالك سقيم، لأن موسى عليه والسلام عندما التقى به النبي عليه السلام وكلمه كان حيا، إذ؛ إن الميت لا ينطق بما يفهمه الأحياء من أهل الدنيا وإنما ينطق نطقا برزخيا أو أخرويا مع كونه محجوبا عنا، إذن، فموت موسى يكون باعتبار انتقاله من الدنيا مع كونه حيا عند الله وحين التقاء النبي عليه الصلاة والسلام به، لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يلتق بجنازة موسى وإنما التقى بموسى حيا حاضرا قادرا، لما دل عليه حديث أنس في الصحيحين، وفيه قال النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿فنزلت إلى موسى عليه السلام فقالَ: ما فَرضَ رَبُّكَ علَى أُمَّتِكَ؟ قُلتُ: خَمْسِينَ صَلاةً، قالَ: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فإنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذلكَ[٤٤]﴾.

أمثل هذا الحوار يصدر بين حي وميت؟ والجواب لا يصدر وإنما يصدر بين الحيين، هذا هو الجواب الصحيح، وإذا قال لنا الصوفي بل يصدر فسنقول له: إذن، أرنا تكليمك الأموات على طريق سؤال وجواب كما ثبت هذا الأمر بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين موسى عليه السلام في الحديث الذي استدللت به بحيث يجيب الأموات لك بصوت

---

[٤٤] أخرجه أبو محمد البغوي في ((شرح السنة)) (٣٧٥٣) بلفظه، والنسائي (٤٥٠) بنحوه مطولا، وأبو يعلى (٣٣٧٥) مختصرا ببعض لفظه

مسموع نسمعه حتى تكون صادقا في دعواك، وإن لم تستطع ذلك فدعواك تكون خالية عن البينة وإذا خلت الدعاوي عن البينة فأصحابها أصحاب باطل.

قد يقول الصوفي: هل سمعت أنت صوت موسى عند تكليمه النبي عليه الصلاة والسلام حتى تشترط علي هذا الشرط؟ فقل له: بيني وبين موسى سنوات طويلة فكيف يمكن سماعي لصوته والمعاصرة منتفية بيني وبينه، هذا عندما كان موسى عليه السلام حيا في الدنيا، فما بالك بعد انتقاله إلى الله وعند التقائه بالنبي عليه الصلاة والسلام عندما عرج إلى السماء، ولكن سمعه نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام الذي ﴿لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ والذي يجب علينا تصديقه فيما أخبر، هل أنت كذلك؟ فإن قال: نعم، فتعين كفره لأنه أنزل نفسه منزلة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإن قال: لا، فخصم لأنه معتقد بخلاف الحق، مع ما قال من تعتبره من جملة أئمتك ألا وهو الإمام الطحاوي في عقيدته الطحاوية في آخرها: ﴿وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات، والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات﴾ ولم يقل الإمام الطحاوي: ﴿وفي دعاء الأموات منفعة للأحياء﴾ وأنتم أيها الصوفية خالفتم عقيدة السلف قائلين بانتفاع الحي بدعاء الميت. والله الموفق للصواب.

ش٢٥: إذا قال لك الصوفي: إن هناك فرقا بين دعائنا الأموات وبين دعاء المشركين الأولين فيمن ينادونهم، بحيث إنهم يعتقدون الربوبية فيهم عند دعائهم إياهم، بعكس ما نحن فيه من دعائنا الأموات أو الغائبين من الأولياء.

الجواب: فقل له هذه مغالطة منك، لأن المشركين الأولين ما اعتقدوا الربوبية فيمن ينادونهم من دون الله، بدليل قول الله جل جلاله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]

ففي هذه الآية بيان هؤلاء المشركين الأولين مقصدهم الوحيد في عبادتهم أولياءهم، ألا وهو تقربهم بعبادتهم إياهم إلى الله زلفى دون غيره، وقال جل ذكره: أيضا ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]

قال الإمام الطبري: يعني أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله. انتهى المقصود.

قلت: وهذا أمر واضح جلي للغاية بحيث لا يحتاج إلى موضح ومجل، لكن هؤلاء المتحذلقون حاولوا جعله أمرا ملتبسا كي يمكنهم الاصطياد لعوام المسلمين في ماء العكر، إذن، بان بطلان ما زعمته الصوفية والأحباش ببيان المشركين الأولين مقصدهم، وصاحب البيت أدرى بما فيه.

فقولهم : " إن المشركين الأولين لم يكونوا كافرين بدعائهم آلهتهم إلا بعد اعتقادهم فيها الربوبية وليس بمجرد دعائهم إياها " منقوض ومدحوض، لمخالفته ما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] كفر الله جل وعلا في الآية من دعا دونه بمجرد دعائه من دونه بدون اشتراط اعتقاد الربوبية في ذلك المدعو غير الله قائلا : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] بعد ذكره من يدعو من دونه .

وكذلك أيضا مما يدل على دحض قول الصوفية والأحباش وهو اشتراطهم لكفر من يدعو غير الله اعتقاد الربوبية في ذلك الغير قولنا لهم: إن معتقد الربوبية فيمن يدعوه من دون الله لكافر قبل أن يدعوه، لأن اعتقاد الربوبية في غير الله كفر وشرك باستقلاله، بحيث لا

يحتاج إلى انضمام الدعاء إليه اتفاقا بين المسلمين، إذن، ما تأثير الدعاء في الحكم هنا؟! بعد وجود علة الحكم قبل حدوث الدعاء لغير الله.

إذا دام الأمر كذلك فأقول: إن الحكم الحاصل من الله بالكفر واقع بمجرد الدعاء غير الله بدون اشتراط اعتقاد الربوبية فيمن يدعى دون الله قطعا.

وكذلك أيضا مما يدل على فساد قول الصوفية والأحباش فيما نحن بصدده قول من يعتبرونه إماما لهم ألا وهو الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وخالقا ومدبرا، لأن الذي يحصل بجعل موسى وتقديره لا يمكن أن يكون خالقا للعالم ومدبرا له، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل، والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى، وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان، حيث قالوا : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] انتهى المقصود .

قلت: وكلام الرازي يقرر نقيض ما قررته الصوفية والأحباش مع وصف الرازي تقريرهم بالاستحالة، وهو أن المشركين الأولين كانوا معتقدين الربوبية في آلهتهم، ومع وصفه أيضا من شك فيما قرره بعدم كمال العقل، إذن، فماذا يكون حكم الرازي على من أصل بخلاف تأصيله؟!

ش٢٦: إذا قال لك الصوفي: عندما تستدل على عدم وقوع الشرك من المشركين الأولين في الربوبية بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة الزمر: ٣٨] أين كلمة ﴿وحده﴾؟ وإنما قال الله: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] إذن، هذه الآية لا تفيد كون المشركين الأولين مخلصين في الربوبية.

الجواب : فقل له: لو كانوا معتقدين أن آلهتهم مشاركة لله في خلق السماوات والأرض لقالوا على عجالة سريعة الخالق للسماوات والأرض الله وآلهتنا، ولما أهملوا آلهتهم لا سيما في مقام السؤال والجواب، لأنهم يحبونها كحب الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] ما داموا يحبونها كحب الله وسووا حبها بحب الله يلزمهم أن يصرحوا بتسويتها في الخلق مع الله تعالى، بحيث أن يقولوا : ﴿ الخالق للسماوات والأرض الله وآلهتنا ﴾ ولم يحصل ذلك منهم، وإنما حصل عكسه، ألا وهو نسبة الخلق والتدبير والملك لله وحده، قال الله عز وجل حاكيا عن قولهم : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨] تأمل أيها الصوفي في هذه الآية كيف أخلصوا في الربوبية لله تعالى دون آلهتهم، بدليل قولهم: ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨] أثبتوا بأنهم مشركون بالله، لكن شركهم حاصل بمشيئة الله دون مشيئة آلهتهم، لو لم يكن كذلك لما قالوا : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨] بل لقالوا " لو شاء الله وآلهتنا ما أشركنا " لو كانوا مشركين في الربوبية، ومعلوم أن المشيئة من الربوبية، وبعد المشيئة تدبير، قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فحصول الشرك تدبير من الله، والتدبير من الربوبية، لكن احتجاج المشركين بمشيئة الله تعالى على شركهم وإقامتهم في المعاصي احتجاج باطل، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] لكن المقصود هنا إثباتنا عدم إشراك المشركين الأولين آلهتهم في الربوبية، وهو مستفاد من الآية.

أما إفرادهم الله في الملك فثابت من حديث ابن عباس قال: ﴿كانَ المُشْرِكُونَ يقولونَ: لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ، قالَ: فَيَقولُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: وَيْلَكُمْ! قَدْ قَدْ، فيَقولونَ: إلَّا شَرِيكًا هو لَكَ، تَمْلِكُهُ وَما مَلَكَ. يقولونَ هذا وَهُمْ يَطُوفُونَ بالبَيْتِ![٤٥]﴾.

ومعنى ﴿تملكه وما ملك﴾ تملك الشريك الذي جعلناه لك، وتملك الذي ملكه هذا الشريك، إذن المشركون جعلوا شركاءهم مملوكة لله، ولم يجعلوها مشاركة له في ملكه بل جعلوها تحت ملكه تعالى، إذن، هذا يقرر لنا بأن المشركين الأولين غير مشركين في الربوبية، ومما يؤكد ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] ففي الآية إثبات المشركين عجز آلهتهم، لأنهم أفردوا الله تعالى بالدعاء عند الشدة دون آلهتهم، لو لم يعتقدوا عجزها في الشدة لنادوها لكن الواقع منهم خلاف ذلك، إذن، ما ثبت فيه العجز لا يصلح كونه ربا، لأن معنى الرب هو المالك السيد المصلح المدبر المربي.

إضافة إلى ذلك قال الله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] ولم يقولوا: ما نعبدهم إلا لكونهم خالقين ورازقين ومدبرين ومالكين، إذن الأمر واضح كالشمس.

---

[٤٥] صحيح مسلم: ١١٨٥

قال الطبري رحمه الله تعالى: في تفسير آية ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١] القول في تأويل قوله تعالى: يقول تعالى ذكره ولإن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السماوات والأرض فسواهن وسخر الشمس والقمر لعباده يجريان دائبين لمصالح خلق الله ليقولن الذي خلق ذلك وفعله الله، ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: فأنى يصرفون عمن صنع ذلك فيعدلون عن إخلاص العبادة له. انتهى المقصود.

أما ما يتعلق باشتراط كلمة ﴿وحده﴾ في إثبات إخلاص المشركين الأولين لله في الربوبية عندما قال الله تعالى عنهم ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] فاشتراط باطل، بدليل قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قال: يا رَسولَ اللهِ ﴿قُلْ لي في الإسْلامِ قَوْلًا لا أسْأَلُ عنْه أحَدًا بَعْدَكَ، وفي حَديثِ أبِي أُسامَةَ غَيْرَكَ، قالَ: قُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ، ثم اسْتَقِمْ[٤٦]﴾.

وكلمة ﴿آمنت بالله﴾ مجردة عن كلمة ﴿وحده﴾ ومع ذلك ثبت إخلاص وإيمان قائله بربوبية الله وإلهيته وحده كما دل على ذلك الحديث، لو لم يكن كذلك فما فائدة نصيحة رسول الله عليه الصلاة والسلام لسفيان؟ بقوله : ﴿ قل آمنت بالله ثم استقم ﴾ بعد أن قال له سفيان ﴿ قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ﴾ إذن، قائل ﴿ آمنت بالله ﴾ ثبت له الإخلاص والإيمان بالربوبية بقوله﴿ آمنت بالله﴾ بدون إضافته إليه كلمة ﴿وحده﴾، بناء على قول الصوفية والأحباش أن من قال ﴿ آمنت بالله ﴾ غير مخلص في الربوبية لأنه لم يضف كلمة ﴿وحده﴾ في قوله ﴿آمنت بالله﴾، إذ؛ إنهم مشترطون لثبوت الإخلاص في الربوبية في جواب المشركين الأولين كما حكى الله عنهم ذلك في كتابه_

---

[٤٦] المصدر: صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: ٣٨

بقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] كلمة ﴿وحده﴾ إذن، نقول لهم يجب أن تشترطوا هذا الشرط في من قال ﴿آمنت بالله﴾، حتى يطرد الشرط لأنكم عللتم في عدم إخلاص المشركين الأولين لله في الربوبية بعدم إضافتهم كلمة ﴿وحده﴾ إلى ما قالوه، وهذا التعليل نفسه أيضا موجود في كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿قل آمنت بالله﴾، إذا كان الأمر كذلك يلزمكم أن تحكموا بعدم إخلاص سفيان بن عبد الله الثقفي، ومن لقنه ذلك وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام في الربوبية لله تعالى، لعدم إضافتهما كلمة ﴿وحده﴾ كما حكمتم على المشركين الأولين بعدم الاخلاص في الربوبية لله تعالى لعدم إضافتهم كلمة ﴿وحده﴾ إلى ما قالوه، هذه هي نتيجة من قدم الرأي على الكتاب والسنة .

خلاصة أقول: عدم إثبات إقرار المشركين الأولين خلق السماوات والأرض والملك والتدبير لله وحده دون ما سواه من آلهتهم باطل ظاهر البطلان. والله ولي التوفيق.

ش٢٧: إذا قال لك الصوفي: إن إقرار المشركين الأولين للربوبية كما في قوله تعالى: ﴿ولإن سألتهم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] إقرار لساني صادر منهم لإرضاء المؤمنين فقط، وليس قلبيا واعتقاديا صادرا منهم عن إرادة جازمة.

الجواب: فقل له هذا من تحريف الكلم عن مواضعها، لأن الله تعالى قال: بعد قوله الذي حكى فيه إقرارهم بالربوبية بقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة الزمر: ٣٨] ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] تأمل أيها الصوفي في هذه الفقرة من الآية كيف أورد الله عز وجل

الإلزام والتوبيخ بقوله ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] على ما لا يعتقدونه وينافقون فيه على حسب فهمك للآية؟ هل هذا متوقع صدوره من الإنسان العاقل فضلا عن رب العالمين؟ هذا هو الأمر الأول.

⮌**والأمر الثاني** : فقل له: إن سلمنا لك جدلا فكان ينبغي أن يكذبهم الله تعالى قبل تكذيبك إياهم، لأن الله سبحانه هو المتولي للبيان، قال تعالى: ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦] ولأن الله كذب المنافقين في زعمهم الشهادة للرسول بالرسالة حيث قال الله جل وعلا : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] تأمل هنا أيضا أيها الصوفي تكذيب الله المنافقين الكذابين لكونهم نطقوا بخلاف ما أضمروه في قلوبهم، إذن، نقول لك: لماذا لم يكذب الله عز وجل المشركين بناء على زعمك إن كانوا ناطقين بخلاف ما أبطنوه في قلوبهم ؟ كما كذب المنافقين وأبان لنا أمرهم ولهذا يعتبر كلامك هذا كلاما فلسفيا غير مستند إلى الدليل.

⮌**والأمر الثالث**: فقل له: ما الذي حمل المشركين على الكذب ومداهنة المؤمنين؟ وما الذي اضطرهم إلى ذلك؟ هل كانوا ضعفاء والمؤمنون أقوياء؟ الجواب: لا، ألف لا، بل كان المؤمنون ضعفاء حتى هاجروا من مكة إلى المدينة لضعفهم الشديد، ثم رجعوا إلى مكة بعد القوة مجاهدين المشركين حتى فتحها الله عليهم، إذن، أين ما يقتضي إظهار الإيمان بالربوبية وإبطان الكفر بها؟! ككفر المنافقين الذين أبطنوا كفرهم لضعفهم؟ إذن، صار هذا الأمر أظهر شيء بطلانا.

⮌ **الأمر الرابع**: قل له: ما الذي أقصرهم عن المداهنة في هذه فقط؟ دون غيرها من توحيد الألوهية والبعث والنبوات وإنزل الكتب حتى قالوا: كما حكى الله عنهم: ﴿مَا

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] وما الذي أعجزهم عن مداهنة المؤمنين ببقية ما أعلنوا به الكفر؟! فالله المستعان على ما تصفون.

ش ٢٨ : إذا قال لك الصوفي: إن المشركين الأولين كانوا معتقدين النفع والضر في معبوداتهم مشركين إياها بالله في الربوبية، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [يس: ٧٤]

الجواب : فقل له: مجيبا على هذه الشبهة وهي الشبهة القوية مما عندهم من الشبه ما من عابد دون الله إلا ويعتقد النفع والضر في معبوده، وإلا لما عبده، ولكن هذا الاعتقاد النفعي والضري باعتبار الوساطة والشفاعة عند الله، لا من حيث انفراد الآلهة بالخلق والملك والتدبير، ولا من حيث مشاركتها في الأمور المذكورة، لأن عندنا دليلا بينا لا لبس فيه من كتاب الله تعالى على ما قررناه، قال الله جل وعلا : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وقال الله عز وجل : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وهاتان الآيتان تدلان دلالة مقطوعة بها على أن المشركين الأولين ما كانوا معتقدين النفع والضر في معبوداتهم على الاستقلال أو المشاركة في الربوبية، بل كانوا معتقدين النفع

والضر باعتبار الوساطة والشفاعة، لأن الشافع والمتوسط نافع إن قبلت شفاعته، إذن، تقرر كون اعتقاد المشركين الأولين النفع والضر في معبوداتهم باعتبار الشفاعة والوساطة فقط.

قال الإمام الطبري في تفسير آية: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] يقول تعالى ذكره: واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزا يمنعونهم من عذاب الله، ويتخذون عبادتها عند الله زلفى. انتهى المقصود.

قلت: تأمل أيها الصوفي كلام الطبري رحمه الله تعالى ﴿لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزا يمنعونهم من عذاب الله﴾ أي: بشفاعتها لهم عند الله، وإلا تكون الآلهة عند المشركين أقوى من الله لأنها تمنع منهم عذاب الله، وتدفعه عنهم، ومعنى ذلك يريد الله تعذيبهم والآلهة تدفعه وتصرفه عنهم بعكس إرادة الله، إذن، أصبحت آلهة المشركين عندهم أقوى من الله، إذا كان الأمر كذلك ما الذي منع المشركين الأولين تجريدهم العبادة لآلهتهم دون أن يشركوا بآلهتم الله رب العالمين؟ ما دامت آلهتهم بهذه المثابة عندهم، وما علة إشراكهم الله رب العالمين بآلهتهم؟ ما دام اعتقادهم أن آلهتهم تمنع منهم عذاب الله، بل كان يلزمهم أن يقولوا : ﴿ لا إله إلا آلهتنا، ولا رب إلا آلهتنا ﴾ وما كان يليق بهم جوابا عندما دعوا إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وما كان ينبغي لهم أن يشركوا الله في عبادة آلهتهم فضلا عن أن يخلصوا العبادة له سبحانه عند الشدة، لأن الله لا يساوي لديهم شيئا، لأن آلهتهم أشد قوة من الله جل جلاله بحيث تدفع عذاب الله عنهم حسب فهم الصوفي، قال تعالى عن المشركين مكذبا فهمه : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ

﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] لماذا أخلصوا الدعاء لله في حال الشدة ؟ كما بينه الله تعالى في هاتين الآيتين لو كانوا معتقدين أن آلهتهم تضر وتنفع بحيث تدفع عذاب الله عنهم في غير الوساطة والشفاعة مع كون إخلاصهم الدعاء لآلهتهم هو المفروض، لاعتقادهم فيها الضر والنفع في غير الوساطة والشفاعة حسب زعم الصوفية والأحباش.

وهذه اللوازم كلها لازمة لهم بحيث لا محيص لهم عنها. والله المستعان على ما يصفون.

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى في تفسير آية: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ [سورة يس: ٧٤] يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة يعبدونها ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] أي: منعة حتى يكونوا لهم شفعاء يمنعونهم من العذاب. انتهى المقصود.

خلاصة أقول: إن اعتقاد المشركين الأولين النفع والضر في آلهتهم باعتبار الشفاعة والوساطة فقط، لا باعتبار انفرادها في الأمرين أو مشاركتها فيهما مع الرب جل جلاله، هذا هو الحق الذي لا مرية فيه. والله الهادي إلى صراط مستقيم.

ش٢٩: إذا قال لك الصوفي: يشترط في كون العبادة عبادة وجود نية التعبد فيها، ومثال ذلك: صلاتي بشروطها وأركانها وواجباتها بغير نية التعبد والتقرب إلى الله جل جلاله بها، فهذه لا تسمى عبادة لعدم وجود نية التعبد فيها، وكذلك استغاثتنا بالأموات من الأنبياء والصالحين ليس فيها نية التقرب إليهم والتعبد لهم، إذن، هذه أيضا ليست عبادة لعدم وجود نية التعبد فيها.

الجواب : فقل له: هذا القياس قياس مصادم للنص القرآني والحديثي، حيث قال الله جل وعلا في كتابه : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ [التوبة: ٣١] وقال النبي عليه الصلاة والسلام فيما ثبت عنه في سنن الترمذي وغيره : من حديث عدي بن حاتم الطائي قال: أتيت رسول الله عليه الصلاة والسلام وفي عنقي صليب من ذهب، فقال : يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرأ في"سورة برآة " فقرأ هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] قال: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ قال: قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم .

قلت: فلنشرع الآن في رد هذه الشبهة بما نستفيد من الآية والحديث قائلين للصوفي ما حكم من صلى لغير الله مجردا نية التعبد عن الصلاة لذلك الغير أهو عابد له أم لا؟ إن أجاب بنعم قائلا هو عابد له، فنقول له: هذا ينقض قاعدتك ﴿العبادة لا تسمى عبادة إلا بوجود نية التعبد﴾ وإن أجاب بلا قائلا ليس عابدا له، فقلنا له: إن الله تعالى سماه عابدا، حيث قال: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ [التوبة: ٣١] وسماه رسول الله عليه الصلاة والسلام أيضا عابدا حيث قال: ﴿فتلك عبادتهم﴾ مع عدم وجود نية التعبد عند من أطاع الأحبار والرهبان في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله، لقول عدي رضي الله عنه في الحديث: ﴿لسنا نعبدهم﴾ إذن، ما كانوا قاصدين وناويين التعبد في طاعتهم لهم في التحليل والتحريم، لو كانوا قاصدين التعبد في طاعة هؤلاء لما أشكل على عدي كونهم عابدين لهم حتى يقول: عدي رضي الله عنه ﴿لسنا نعبدهم ﴾

بعد هذا البيان إن أصر الصوفي بأن هؤلاء ناوون العبادة في طاعتهم الأحبار والرهبان في التحليل والتحريم فقلنا له: إذن، يلزمك وصفك الصحابي الجليل عدي بن حاتم بالكذب، لأنه مقر بعدم وجود نية التعبد في طاعتهم الأحبار والرهبان.

ونقول له: أيضا نفترض جدلا أن تقريرك صحيح من كون تسمية الشيء بالعبادة لا يكون إلا باقتران نية التعبد به، وإذا لم تقترن به نية التعبد فلا يسمى عبادة، وإذا اقترنت به سمي عبادة، إذن، مدار كون الشيء عبادة أو غير عبادة وجود نية التعبد مقترنا بذلك الشيء أو عدم وجودها مقترنا به، إذن، فهذا التقرير يؤدي إلى عدم وجود شيء مسمى بالعبادة في حد ذاته، لأن قطب الرحا في ذلك هي النية، إذا وجدت مقترنا بالعبادة فوجدت العبادة، وإذا لم توجد مقترنا بها لم توجد العبادة، وبهذا التقرير نزن المثل الآتي، والمثل يكون كالتالي : هناك رجل يريد السياحة ذاهبا إلى الحديقة الفلانية ولم يقرن نية التعبد بهذه السياحة هل تكون هذه السياحة عبادة ؟ فالجواب على حسب تقرير الصوفي لا تكون عبادة، لعدم اقتران نية التعبد بها، وإذا نوى السياحي التعبد بسياحته كانت عبادة، إذن، ليس هناك شيء يسمى عبادة في حد ذاته، فالصلاة والزكاة والسياحة والأكل والشرب والتبول ونحو هذه الأمور تكون على حد سواء في كونها عبادة إذا اقترنت بها نية التعبد وعدم كونها عبادة إذا لم تقترن بها نية التعبد، إذا كان الأمر كذلك نقول: ما فائدة تخصيص الله تعالى جملة من الأشياء في كتابه آمرا بأن نتعبده بها؟ حيث قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] وغير ذلك، إن قال الصوفي مجيبا : فإن هناك أشياء أصلها عبادة وشرعها الله لنعبده بها لكن إذا جردناها عن نية التعبد فتصير غير عبادة كالصلاة والاستغاثة بالأموات أو الغائبين، نقول له: إن كان الأمر كما قلت فنلزمك قائلين: إذا أقررت أن هناك أشياء موصوفة في الأصل بالعبادة فالوصف الأصلي باق فيها لإبقاء الله تعالى هذا الوصف فيها، حيث قال تعالى : ﴿

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ [التوبة: ٣١] وإبقاء رسول الله عليه الصلاة والسلام لها فيها حيث قال: ﴿فتلك عبادتهم﴾ مع عدم وجود نية التعبد من عدي رضي الله وغيره ممن أطاع الأحبار والرهبان ما دام الأمر كذلك نقول: إن من صرف ما وضع لعبادة الله لغير الله عابد لذلك الغير، ولو لم ينو التعبد فعدم نية التعبد لا يخرج العبادة عن حقيقتها وإنما يجعل صاحبها مسؤولا عند ربه غير مأجور لعدم أدائه العبادة بنية التعبد لقول النبي عليه الصلاة والسلام: {إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى[٤٧]} ومعنى الحديث إنما صلاح العمل وفساده بالنيات، إذا دام الأمر كذلك فعدم نية التعبد في شيء موضوع للتعبد من قبل الشارع لا يخرجه عن حيز العبادة، وإنما يهدر أجر من أتى به مع كونه مسؤولا عند رب العباد لعدم أدائه العبادة بنية التعبد.

وإذا سلمنا بما يقول الصوفي من أن عدم اقتران نية التعبد في شيء موضوع من قبل الشارع للتعبد به يخرج ذلك الشيء عن حيز العبادة فقلنا له: إذا خرج الشيء المشروع في الأصل عبادة من قبل الشارع عن حيز العبادة لعدم وجود نية التعبد فيه فماذا يصير هذا الأمر؟ الجواب لا يصير إلا لعبا فحسب، إذن، نقول له: إن قولك هذا مستلزم بوجود أمور في الكتاب والسنة منزلة من قبل الشارع يمكن كونها عبادة وملعبة بحسب نية العبد مع كون هذا الدين الحنيف إنما أنزله الله لهداية البشر وليس لملعبة البشر، حيث قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩] وقال جل وعلا : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال

---

[٤٧] رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .

سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] إذن، يكفي في بطلان ما قرره الصوفي استلزام تقريره إمكانية كون الشريعة المحمدية ملعبة للبشر . فالله المستعان وعليه التكلان.

ش٣٠: إذا قال لك الصوفي: إن هناك دليلا من القرآن على وقوع الشرك من المشركين الأولين في الربوبية، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧] ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية:١٨] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية:١٩] ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠] لو لم يكن لديهم شرك في ذلك لما خاطبهم بمثل هذا الخطاب.

الجواب: فقل له: حدت عن الموضوع في استدلالك بالآيات التي ذكرتها لأنك في صدد إثبات شرك المشركين الأولين في الربوبية، والآيات التي استدللت بها في صدد توجيه الله تعالى لهم بأن يصححوا عقيدتهم الفاسدة من إنكارهم البعث، وهذا حاصل منهم، كما قال الله جل وعلا: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٦] وقال رب العزة : ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩] وهاتان الآيتان وغيرهما من الآيات والآيات التي استدللت بها غير دالة على إشراكهم آلهتهم في شيء من أفراد الربوبية، وغاية ما فيها إنكارهم البعث بعدم إثباتهم له

لا لله ولا لآلهتهم هذا يسمى إنكارا لا شركا، إذن، تقرر لدينا أن المشركين الأولين لم يشركوا أحدا من آلهتهم مع الله في الربوبية، وإنما صدر منهم الإنكار لا الشرك، وما صدر منهم في توحيد الربوبية هو الأول، وأما الثاني فلا، بدليل قوله تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وهذا الحصر من الآية يفيدنا يقينا بأنهم ما كانوا مشركين في الربوبية، إذ؛ إنهم أبانوا كما في الآية مقصدهم الوحيد في عبادتهم الآلهة ألا وهو التقرب إلى الرب جل جلاله، لا ما ادعيته من إثباتهم الربوبية لها،

وكذلك نقول : إنهم ما كانوا مشركين في الألوهية إلا في حالة الرخاء فضلا عن شركهم في الربوبية، والدليل على ذلك قول الله جل وعلا : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ما دام الأمر كذلك فهم عن الشرك في الربوبية أبعد، وإثباتنا لهم الإخلاص في الربوبية لا يعني مدحهم ودخولهم في الإسلام، وإنما يعني بيان حقيقة أمرهم، وبيان فساد شبهة الصوفية الزاعمين بأن المشركين الأولين مشركون في الربوبية لتبرير شركهم الذي هم منغمسون فيه .

أما فيما يتعلق بتفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] وما بعدها من الآيات فقال إمامكم الرازي في تفسيرها : اعلم أنه تعالى لما حكم بمجيئ يوم القيامة وقسم أهل القيامة إلى قسمين الأشقياء والسعداء ووصف أحوال الفريقين وعلم أنه لا سبيل إلى إثبات ذلك إلا بواسطة إثبات الصانع الحكيم لا جرم أتبع ذلك بذكر هذه الدلالة فقال : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] وجه الاستدلال بذلك على صحة المعاد أنها تدل على وجود الصانع الحكيم، ومتى ثبت ذلك فقد ثبت القول بصحة المعاد، ... إلى أن قال: فهذه الصفات الكثيرة الموجودة فيها توجب على العاقل أن ينظر في خلقتها وتركيبها، ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه، ثم إن العرب من أعرف الناس بأحوال الإبل في صحتها وسقمها ومنافعها

ومضارها، فلهذه الأسباب حسن من الحكيم تعالى أن يأمر بالتأمل في خلقتها . انتهى المقصود.

إذن، أين الشرك الصادر من المشركين الأولين في الربوبية؟ بل الصادر منهم إنكار المعاد بتقرير من تعتدون به ألا وهو الرازي.

إضافة إلى ذلك قال الرازي: أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وخالقا ومدبرا، لأن الذي يحصل بجعل موسى وتقديره لا يمكن أن يكون خالقا للعالم، ومدبرا له، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل، والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى، وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان، حيث قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] . انتهى المقصود.

إذن، حكم الرازي جازما بأن المشركين الأولين لم يكونوا مشركين في الربوبية بإثباتهم الخلق والملك والتدبير وغيرها من خصائص الربوبية لآلهتهم، وإنما صاروا مشركين لصرفهم العبادة لها بحجة أن تقربهم إلى الله تعالى. جعلنا الله تعالى هداة مهتدين.

ش٣١: إذا قال لك الصوفي: إن المشركين الأولين كانوا طالبين المطر من النوء، بدليل ما ثبت في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله عليه الصلاة والسلام صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب. متفق عليه.

وهذا يدل على وقوع الشرك منهم في الربوبية الذي اقتضى عبادة آلهتهم، بعكس ما نحن فيه عند دعوتنا الأولياء من الأموات، بحيث إننا غير مثبتين الربوبية لهم مع عدم اعتقادنا ما نفعله تجاههم بأنه عبادة.

الجواب: فقل له: أولا اشتراط اعتقاد التعبد في كون العبادة عبادة باطل ظاهر البطلان كما تقدم تقريره، وقل له: ثانيا استدلالك بالحديث في إثبات شرك المشركين الاولين في الربوبية غير صحيح، لأن في الحديث نفسه ما يمنع ذلك، ألا وهو قول رسول الله عليه الصلاة والسلام حاكيا عما قاله ربه: ﴿مَن قالَ: مُطِرْنا بفَضْلِ اللَّهِ ورَحْمَتِهِ، فَذلكَ مُؤْمِنٌ بي

كَافِرٌ بالكَوْكَبِ، وأَمَّا مَن قالَ: بنَوْءِ كَذَا وكَذَا، فَذلكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بالكَوْكَبِ[48]﴾. تأمل أيها الصوفي في قوله: ﴿مطرنا بفضل الله ورحمته﴾ الباء هنا سببية، أي: مطرنا بسبب فضل الله ورحمته، لأن الممطر حقيقة هو الله تعالى، فالفضل والرحمة سببان في الإمطار وليسا ممطرين حقيقة، وكذلك ﴿الباء﴾ من قول المشركين في الحديث ﴿مطرنا بنوء كذا وكذا﴾ سببية، أي: مطرنا بسبب نوء كذا وكذا، ولم يقولوا : ﴿أمطرنا نوء كذا وكذا﴾ كما لم يقل الله ﴿من قال أمطرنا فضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب﴾، إذن، هناك فرق بين العبارتين، عبارة ﴿من قال مطرنا بنوء كذا وكذا﴾ وعبارة ﴿أمطرنا نوء كذا وكذا﴾ إذا كان الأمر كذلك أن الحديث لا يفيد وقوع الشرك من المشركين الأولين في الربوبية، وإنما يفيد حصول الشرك الأصغر أو الكفر الأصغر، لجعلهم النوء سببا في إنزال المطر مع عدم ثبوت السببية فيه شرعا ولا قدرا، ومما يؤكد ما قررناه قول إمامكم الرازي، حيث قال: مفسرا لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١] ثم إنه تعالى لما ذكر هذا التفصيل ذكر بعده كلاما كليا، وهو قوله:﴿ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ [يونس:٣١] وذلك لأن أقسام تدبير الله تعالى في العالم العلوي وفي العالم السفلي وفي عالمي الأرواح والأجساد أمور لا نهاية لها، وذكر كلها كالمتعذر، فلما ذكر بعض تلك التفاصيل لا جرم عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي.

ثم بين تعالى أن الرسول عليه السلام إذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال فسيقولون إنه الله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على أن المخاطبين بهذا الكلام كانوا يعرفون الله ويقرون به، وهم الذين قالوا: في عبادتهم الأصنام إنها تقربنا إلى الله زلفى، وإنهم شفعاؤنا عند الله،

---

[48] أخرجه مسلم (٧١) باختلاف يسير

وكانوا يعلمون أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، فعند ذلك قال لرسوله عليه السلام ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، [يونس: ٣١] يعني أفلا تتقون أن تجعلوا هذه الأوثان شركاء لله في العبودية، مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة إنما تحصل من رحمة الله وإحسانه، واعترافكم بأن هذه الأوثان لا تنفع ولا تضر ألبتة . انتهى المقصود.

أضف إلى ذلك قوله المتقدم في غير هذا المبحث في تفسير قوله تعالى: حاكيا عما قاله قوم موسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٨] واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وخالقا ومدبرا، لأن الذي يحصل بجعل موسى وتقديره لا يمكن أن يكون خالقا للعالم ومدبرا له، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل، والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى، وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان، حيث قالوا : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] انتهى المقصود .

قلت: إن كلام الرازي في غاية الوضوح في بيان عدم وقوع الشرك من المشركين الأولين في الربوبية، وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه، إذن، أيها الصوفي أنك قد خالفت الأدلة الواضحة وإمامك الأكبر الرازي، مع وصفه لك بعدم كمال عقلك، بل بجنونك، إذ؛ إنك مثبت شرك المشركين الأولين في الربوبية. والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

ش ٣٢: إذا قال لك الصوفي: إنكم معشر الوهابية تقولون: إن دعاء الأموات الصالحين شرك، لأنه دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا هو، فها هو ربيعة يسأل رسول الله عليه الصلاة والسلام ما لا تجري به العادة، وعلى عبارتكم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، قائلا: ﴿أسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ﴾ بعد أن قال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿سلني﴾. أخرجه مسلم.

إذن، الحديث يفيد كون النبي عليه الصلاة والسلام حاملا لربيعة على وقوعه في الشرك حسب زعمكم بسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، إذ؛ قال له عليه الصلاة والسلام: ﴿سلني﴾ ما جوابكم عن هذا الحديث؟

الجواب: فقل له: مجيبا على هذه الشبهة الواهية نطالبك بذكر الحديث بتمامه، لأن ذكر الحديث كاملا يكشف شبهتك التي أوردتها على الحديث، فها هو الحديث بتمامه عن ربيعة بن كعب الأسلمي، {قال: كُنْتُ أَبِيتُ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فأتَيْتُهُ

بوَضُوئِهِ وحَاجَتِهِ، فَقالَ لِي: سَلْ فَقُلْتُ: أسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. قالَ: أوْ غيرَ ذلكَ قُلتُ: هو ذَاكَ. قالَ: فأعِنِّي علَى نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ[49]﴾.

وهناك أيضا رواية أخرى لهذا الحديث في مسند أحمد وغيره عن ربيعة بن كعب الأسلمي نفسه، قال فيها النبي عليه الصلاة والسلام له: ﴿سَلْنِي يا رَبيعةُ أُعطِكَ. قال: فقُلتُ:أنظُرُ في أمْرِي يا رَسولَ اللهِ، ثم أُعلِمُكَ ذلك. قال: ففَكَّرتُ في نَفْسي، فعَرَفتُ أنَّ الدُّنيا مُنقَطِعةٌ زائِلةٌ، وأنَّ لي فيها رِزقًا سَيَكفيني ويأتيني، قال: فقُلتُ: أسألُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِآخِرَتي؛ فإنَّه مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ بالمَنزِلِ الذي هو به، قال: فجِئتُ، فقال: ما فَعَلتَ يا رَبيعةُ؟ قال: فقُلتُ: نَعَمْ يا رَسولَ اللهِ، أسأَلُكَ أنْ تَشفَعَ لي إلى رَبِّكَ فيُعتِقَني مِنَ النارِ. قال: فقال: مَن أمَرَكَ بهذا يا رَبيعةُ؟ قال: فقُلتُ: لا واللهِ الذي بَعَثَكَ بالحَقِّ، ما أمَرَني به أحَدٌ، ولكنَّكَ لَمَّا قُلتَ: سَلْني أُعطِكَ، وكُنتَ مِنَ اللهِ بالمَنزِلِ الذي أنتَ به، نَظَرتُ في أمْري وعَرَفتُ أنَّ الدُّنيا مُنقَطِعةٌ وزائِلةٌ، وأنَّ لي فيها رِزقًا سيأتيني، فقُلتُ: أسألُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِآخِرَتي. قال: فصَمَتَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ طَويلًا، ثم قال لي: إنِّي فاعِلٌ، فأعِنِّي على نَفْسِكَ بكَثْرةِ السُّجودِ[50]﴾

قلت: في هذا الحديث بروايتيه إرادة النبي عليه الصلاة والسلام مكافأة ربيعة بشيء دنيوي نافع له، لما صنع إليه من المعروف، حيث قال: في حديث آخر الذي أخرجه أبو

---

[49] أخرجه أبو داود (١٣٢٠) واللفظ له، والنسائي (١١٣٨)، وابن أبي عاصم في ((الآحاد والمثاني)) (٢٣٨٧) باختلاف يسير.

[50] أخرجه الطبراني (٤٥٧٦) (٥/ ٥٧)، وأبو نعيم ((معرفة الصحابة)) (٢٧٥١) واللفظ لهما، وأحمد (١٦٥٧٨) مختصرا.

داود وغيره من حديث ابن عمر ﴿ومن صنعَ إلَيْكم معروفًا فَكافئوهُ، فإن لم تجدوا ما تُكافئونَهُ فادعوا لَهُ حتَّى ترَوا أنَّكم قد كافأتموهُ[51]﴾ وصححه الإمام الألباني.

ركز أيها الصوفي في قول رسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿أو غير ذلك﴾ أي: هل ما تطلب غير ما سألت؟ لأنه يزيل شبهتك التي انطوت على قلبك في قول رسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿سلني﴾، إذ؛ قوله عليه الصلاة والسلام : ﴿أو غير ذلك﴾ يدل على عدم كونه عليه الصلاة والسلام متوقعا أن يسأله ربيعة ما سأله من مرافقته له في الجنة، بل يثبت هذا الشق من الحديث توقعه عليه الصلاة والسلام سؤاله له من أمور الدنيا، ليكافئه ما صنعه إليه من المعروف، هذا هو الأصل في المكافة، كما أشار إلى ذلك حديث ابن عمر، حيث قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿ومن صنعَ إلَيْكم معروفًا فَكافئوهُ، فإن لم تجدوا ما تُكافئونَهُ فادعوا لَهُ حتَّى ترَوا أنَّكم قد كافأتموهُ .﴾ إذن، المكافأة المادية مقدمة على المكافأة الدعائية إن أمكن ذلك، كما أفاده الحديث، ومن هنا جرى عمل النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الأول حسب ما اقتضاه الحديث الثاني، ومعنى ذلك أنه عليه الصلاة والسلام كان مريدا أن يكافئ ربيعة بأمر مادي حينما قال له ﴿سلني﴾، إذ؛ إنه هو الأصل كما تقدم، ويدل على ذلك أيضا ما جاء في الرواية الثانية من قول ربيعة حيث قال : ﴿فعرَفتُ أنَّ الدُّنيا مُنقَطِعةٌ زائِلةٌ، وأنَّ لي فيها رِزقًا سَيَكفيني ويأتيني، قال: فقُلتُ: أسألُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِآخِرَتي [52].﴾

---

[51] أخرجه أبو داود (١٦٧٢) واللفظ له، والنسائي (٢٥٦٧)، وأحمد (٥٣٦٥)

[52] أخرجه الطبراني (٤٥٧٦) (٥/ ٥٧)، وأبو نعيم ((معرفة الصحابة)) (٢٧٥١) واللفظ لهما، وأحمد (١٦٥٧٨) مختصرا.

وجه الدلالة فيه يكون من حيث ذكر ربيعة نفع الدنيوي، لكونه أصلا في المكافأة كما تقرر في حديث ابن عمر، لكنه آثر نفع الأخروي لدوامه، وهذا يدل على فهمه الثاقب واهتمامه بأمور الآخرة، إذن، ثبت عدم توقع النبي عليه الصلاة والسلام ما سأله ربيعة، وإنما توقع منه سؤاله أمرا دنيويا، إذا كان الأمر كذلك لم يكن لشبهة الصوفي مجال في قول رسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿سلني﴾ والله ولي التوفيق.

وأما الشبهة الثانية التي جاء بها الصوفي متمسكا بجزء حديث ربيعة ألا وهو: ﴿أسألك مرافقتك في الجنة﴾ قال عنها إمامه في الضلالات عبد الله الحبشي الهرري في كتابه: ﴿المقالات السنية﴾ ص (٢٧٢) وكيف حكموا بأن ما لم تجر به العادة شرك وجعلوا ذلك قاعدة؟ وقد طلب بعض الصحابة وهو ربيعة بن كعب الأسلمي من رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يكون رفيقه في الجنة، فلم ينكر عليه، بل قال له من باب التواضع" أو غير ذلك" فقال الصحابي هو ذاك فقال له " فأعني على نفسك بكثرة السجود " رواه مسلم. انتهى المقصود.

وقال أيضا في الكتاب نفسه: ص (٢٧٤) فكيف يسوغ تكفير المسلم لمجرد أنه قال إن النبي والولي واسطة بمعنى السبب؟ إنما الشرك هو إثبات الواسطة بمعنى أن شيئا يعين الله أو أن الله سبحانه لا يستطيع أن يحصل ذاك الشيء استقلالا إلا بواسطة النبي أو الولي، فهذا هو الشرك لو كانوا يفهمون. انتهى المقصود.

نقول مجيبين على هذه الشبهة : إن هناك رواية في مسند أحمد سالفة في جواب الشبهة الأولى، وفيها قول ربيعة: ﴿أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار﴾ وهذا اللفظ مخالف للفظ الذي ورد في صحيح مسلم ﴿أسألك مرافقتك في الجنة﴾، واللفظ الأول هو الموافق لما وردت به الأدلة الشرعية، وأما الثاني ففيه نظر لإنكار النبي عليه الصلاة والسلام ما دونه قباحة من حيث اللفظ، حين قال له رجل: ﴿ما شاء الله وشئت﴾ مع

ثبوت المشيئة للرسول عليه الصلاة والسلام فبادر النبي عليه الصلاة والسلام بالإنكار عليه، قائلا : ﴿أجعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده﴾ وهذا الرجل مقارن مشيئة النبي عليه الصلاة والسلام بمشيئة الرب جل جلاله لفظا فقط، ومع ذلك شدد النبي عليه الصلاة والسلام عليه النكير بقوله ﴿أجعلتني لله ندا؟﴾، إذن، فكيف يتصور سكوت النبي عليه الصلاة والسلام فيمن أفرده في سؤاله مرافقته في الجنة؟ مع إنكاره إنكارا غليظا على من قال: ﴿ما شاء الله وشئت﴾، لأن لفظ ﴿أسألك مرافقتك في الجنة﴾ ليس فيه مقارنة بين الله وبين النبي عليه الصلاة والسلام في السؤال، وإنما فيه إفراد النبي عليه الصلاة والسلام فيه، مع عدم ثبوت قدر المشترك بين الرب ورسوله في هذا الأمر، بخلاف لفظ ﴿ما شاء الله وشئت﴾، لإثبات الله جل وعلا للعبد المشيئة حيث قال: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [سورة التكوير: ٢٨].

أما قول الهرري ﴿وكيف حكموا بأن ما لم تجر به العادة شرك وجعلوا ذلك قاعدة؟ وقد طلب بعض الصحابة وهو ربيعة بن كعب الأسلمي من رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يكون رفيقه في الجنة، فلم ينكر عليه﴾ فهو مردود، بقول: من تحسبونه إماما لكم النووي أو ابن العطار تلميذه في شرحه : { أربعون النووية } ص (٦٣) على خلاف بين أهل العلم في نسبة الكتاب إلى أحد الرجلين حيث قال : قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ إذا سألتَ فاسألِ اللهَ [٥٣]﴾ إشارة إلى أن العبد لا ينبغي له أن يعلق سره بغير الله، بل يتوكل عليه في سائر أموره، ثم إن كانت الحاجة التي يسألها لم تجر العادة بجريانها على أيدي خلقه كطلب الهداية والعلم والفهم في القرآن والسنة وشفاء المرض وحصول

---

[٥٣] أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٧٦٣)

العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة سأل ربه ذلك، وإن كانت الحاجة التي يسألها جرت العادة أن الله سبحانه وتعالى يجريها على أيدي خلقه كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف والصنائع وولاة الأمور سأل الله تعالى أن يعطف عليه قلوبهم، فيقول: اللهم حنن علينا قلوب عبادك وإمائك وما أشبه ذلك . انتهى المقصود.

تأمل أيها الصوفي في تقرير النووي أو ابن العطار تلميذه في عدم جواز سؤال ما لا تجري به العادة من غير الله، ولو اعتقد صاحبه أن الفاعل حقيقة هو الله تعالى مخالفا شيخكم وإمامكم في الضلالات الهرري،

وكذلك تأمل أيضا في تقريره سؤال العبد ربه وحده فيما جرت به العادة ليكتمل توكله على ربه جل جلاله، وأما قوله: ﴿ إنما الشرك هو إثبات الواسطة بمعنى أن شيئا يعين الله أو أن الله سبحانه لا يستطيع أن يحصل ذاك الشيء استقلالا إلا بواسطة النبي أو الولي فهذا هو الشرك لو كانوا يفهمون ﴾ فقلنا: هذا باطل، إذ، إن شرك المشركين الأولين لم يكن على أحد هذه الاوجه الهررية، كما تقرر ذلك في كتاب الله الكريم، حيث قال رب العزة : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وقال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وهاتان الآيتان تثبتان عدم اعتقاد المشركين الأولين إعانة آلهتهم لله في فعل من أفعاله، وكذلك تثبتان عدم اعتقادهم بأن الله غير مستطيع في تحصيل الأشياء استقلالا إلا بواسطة النبي أو الولي، لأنهم عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى، وتشفعهم عنده فقط، ومما يؤكد ذلك قول الرازي إمام إمامكم الهرري في تفسير الآية الثانية: حيث قال في صدد ذكره أوجها كثيرة مما يتعلق بمعانى هذه الآية:

ورابعها: أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله. انتهى المقصود.

وقال أيضا في تفسير آية : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨] واعلم أن من المستحيل أن يقول: العاقل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة وخالقا ومدبرا، لأن الذي يحصل بجعل موسى وتقديره لا يمكن أن يكون خالقا للعالم ومدبرا له، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل، والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى، وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان، حيث قالوا : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣] . انتهى المقصود.

إذن، نقول: للصوفي إن مشركي قريش كانوا مسلمين لله وموحدين له على حد كلام إمامكم الهرري، لأن الشرك الذي ذكره لم يقع منهم بدلالة الآيتين المتقدمتين، وشهادة الرازي عليه، إذا دام الأمر كذلك فنقول: بماذا حصل كفر مشركي قريش؟ نقول مجيبا على السؤال: حصل بصرفهم العبادة لآلهتهم دون اعتقادهم النفع والضر فيها، لا استقلالا ولا مشاركة مع الله فيهما، وإنما اعتقدوا فيها شفاعتها لهم إلى الرب جل ذكره، وهذا الأمر نفسه ما عايناه فيكم أيها الصوفي في تعظيمكم الأضرحة طلب شفاعة من دفن فيها، وهذا ما شنعه عليكم إمامكم الرازي، بقوله: ﴿ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله﴾ إذن، فكلام الهرري ساقط على أم رأسه بشهادة شاهد من أكابر أئمته. فالله المستعان.

ش٣٣: إذا قال لك الصوفي: إن هناك أدلة تبين شرك المشركين الأولين في ربوبية الله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ..... الآية﴾ [الحج: ٤٠] وجه الدلالة من الآية هو من حيث كون إخراج مشركي قريش للصحابة من ديارهم بغير حق لقولهم ﴿ربنا الله﴾، إذن، مشركو قريش كانوا مشركين في ربوبية الله تعالى، ولو كانوا مخلصين لله فيها لما أخرجوا الصحابة من ديارهم، لانتفاء علة الإخراج.

الجواب : فقل له : إن تقريرك هذا مصادم للنصوص الشرعية المتقدمة التي قررت اعتقاد المشركين الأولين في عبادتهم آلهتهم، ألا وهي قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر: ٣] وقوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وهاتان الآيتان بينتا المقصد الوحيد للمشركين في عبادتهم آلهتهم، ألا وهو طلبهم الشفاعة والتقرب إلى الله زلفى دون غيره .

ويصدام تقريرك هذا أيضا تقرير إمامك وإمام أئمتك الرازي، حيث قال : عند تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١] ثم إنه تعالى لما ذكر هذا التفصيل ذكر بعده كلاما كليا، وهو قوله : ﴿

﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ إلى أن قال ... ثم بين تعالى أن الرسول عليه الصلاة والسلام إذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال فسيقولون إنه الله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على أن المخاطبين بهذا الكلام كانوا يعرفون الله ويقرون به، وهم الذين قالوا في عبادتهم الأصنام إنها تقربنا إلى الله زلفى، وإنهم شفعاؤنا عند الله، وكانوا يعلمون أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، فعند ذلك قال لرسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني أفلا تتقون أن تجعلوا هذه الأوثان شركاء لله في العبودية مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة إنما تحصل من رحمة الله وإحسانه ؟ واعترافكم بأن هذه الأوثان لا تنفع ولا تضر ألبتة. انتهى المقصود.

أما ما يتعلق بشبهتك التي أوردتها متسترا بقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠] فمردودة بمجيئ لفظ ﴿الرب﴾ بمعنى الإله والمعبود، ومصداق ذلك قول ابن كثير في تفسير الآية نفسها: حيث قال: ﴿إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: ما كان لهم إلى قومهم إساءة، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له. انتهى المقصود.

وهذا المعنى معروف في اللغة كما قرر ذلك القرطبي عند ذكره معاني ﴿الرب﴾ في تفسير آية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٢] قائلا: والرب المعبود ومنه قول الشاعر:

أرب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب.

ومن ذهب إلى إثبات هذا المعنى للفظ ﴿الرب﴾ البقاعي، في تفسير آية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣١] قائلا: ﴿أَرْبَابًا﴾ أي: آلهة لكونهم يفعلون ما يختص به الرب من تحريم ما حرموا وتحليل ما حللوا. انتهى المقصود.

وكذلك الماوردي في تفسير آية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ ... الآية﴾ [سورة التوبة: ٣١] حيث قال: قوله: ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني آلهة لقبولهم منهم تحريم ما يحرمونه عليهم وتحليل ما يحلونه لهم فلذلك صاروا لهم كالأرباب وإن لم يقولوا إنهم أرباب وقد روي مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. انتهى المقصود.

وكذلك النسفي في تفسير الآية: حيث قال: ﴿أَرْبَابًا﴾ آلهة من دون الله.

إذن، تقرر بهذا التحقيق الدليلي كون المراد بآية ﴿إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ إلهنا ومعبودنا الله تعالى وحده لا شريك له، وليس ما توهمته من أنها تفيد معنى الربوبية، فإذا أبى الصوفي قبول هذا التوجيه وأصر على ما هو عليه من أن معنى الآية لا يكون إلا كما ذكره فقل له إذن، نلزمك بإلزامات لا مخرج لك منها.

⮌**الإلزام الاول**: إن كان السبب الوحيد في إخراج المشركين الأولين الصحابة من ديارهم بغير حق هو إخلاصهم في الربوبية دون غيره هذا هو المفهوم من الآية حسب تقريرك إذن، فموضوع الألوهية صار محل اتفاق بين الطرفين، لأنه لم يكن سبب الإخراج من الديار لعدم حصول نزاع بينهما فيه، لو كان هناك نزاع بينهما فيه لكان سبب الإخراج، ولم تقتصر الآية في بيان علة الإخراج من الديار على نزاع قائم بينهما في الربوبية فحسب حسب تقريرك.

⮌**والإلزام الثاني** : أن هذا الاتفاق الحاصل من الطرفين في الألوهية إما أن يكون بالإخلاص فيها منهما أو بالإشراك فيها منهما، فالأمر الأول يستلزم إخلاص المشركين الأولين في الألوهية، ومن قال بهذا فقد أبعد النجعة وضل عن سواء السبيل، وكفر برب العالمين لأنهم كانوا مشركين في هذا الأمر، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا

نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [سورة الزمر: ٣] ولأن الله تعالى أرسل جميع الرسل إلى أممهم ليصححوا هذا التوحيد، قال تعالى :﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩] إذن، إذا كان هناك اتفاق بين الطائفتين في الألوهية فما فائدة إرسال الرب جل جلاله الرسل إلى أقوامهم قائلين ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ؟!

والامر الثاني يستلزم شرك الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في الألوهية، وهذا عين التكفير للصحابة مع عدم تكفير الله لهم، بل ثبت عنه ثناؤه سبحانه ثناء عاطرا عليهم، حتى جعلهم قدوة للأمة، إذن، صار الأمران أحلاهما مر. وبهذا ننتهي في تفنيد هذه الشبهة الصوفية بتوفيق رب العالمين.

ش ٣٤: إذا قال لك الصوفي أو غيره: يجوز لنا نداء الأموات طلبا منهم أن يدعوا الله ويستغفروه لنا، بدليل ما اخرجه البزار من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام، حياتي خيرٌ لكم، تُحدِّثون ويُحَدَّثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم، تُعْرَضُ عَلَيَّ أعمالُكم، فما رأيتُ من خيرٍ حَمِدتُ اللهَ عليه، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ اللهَ لكم﴾.

الجواب: فقل له: إن هذا الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام، لان فيه شذوذا من قبل عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، وهذا على افتراضنا بأنه ثقة غير متكلم فيه، إذ؛ الثقات من أصحاب الثوري رووا الحديث يالفقرة الأولى دون قوله: ﴿حياتي خيرٌ لكم، تُحدِّثون ويُحَدَّثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم، تُعْرَضُ عَلَيَّ أعمالُكم، فما رأيتُ من خيرٍ حَمِدتُ اللهَ عليه، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ اللهَ لكم[٥٤]﴾. وقد خالفهم عبد المجيد فرواه بهذا اللفظ، وتكلم في عبد المجيد هذا كثير من الأئمة، منهم الإمام البخاري، قال فيه يرى الإرجاء عن أبيه، وكان الحميدي يتكلم فيه، ﴿الضعفاء الصغير للبخاري﴾ ص (٨٢) وقال ابن حبان في ﴿المجروحين﴾ : (٢/ ١٦١) منكر الحديث جدا يقلب الأخبار، ويروي المناكير عن المشاهير، فاستحق الترك، وقال الذهبي في ﴿السير﴾ : (٩/٤٣٥) وقال أبو داود : كان عبد المجيد رأسا في الإرجاء، وقال يعقوب بن سفيان : كان مبتدعا داعية، وقال سلمة بن شبيب: كنت عند عبد الرزاق فجاءنا موت عبد المجيد وذلك في سنة ست ومائتين فقال: الحمد لله الذي أراح أمة محمد من عبد المجيد، قال ابن عدي : عامة ما أنكر عليه الإرجاء . انتهى المقصود من كلام الذهبي.

وقال الحافظ في ﴿التقريب﴾: (٣٤٢) صدوق يخطئ، وكان مرجئا أفرط ابن حبان فقال: متروك. انتهى المقصود.

---

[٥٤] أخرجه البزار (٥/٣٠٨)

الراوي: بكر بن عبدالله المزني - حياتي خيرٌ لكم، ووفاتي لكم خيرٌ، تُحْدِثون فيحدثُ لكم، فإذا أنا متُّ عُرِضَتْ عليَّ أعمالُكم، فإن رأيتُ خيرًا حمدتُ اللهَ، وإن رأيتُ شرًّا استغفرتُ اللهَ لكم. أخرجه ابن سعد في ((الطبقات الكبرى)) (١٩٩٠)، والحارث في ((مسنده)) (٩٥٣)

قلت: هذا من ناحية الرواية، وأما من ناحية الدراية على فرضية ثبوت الحديث فقل له: إن الحديث معارض لما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ذَاكِ لو كانَ وأَنَا حَيٌّ، فأسْتَغْفِرَ لَكِ وأَدْعُوَ لَكِ[٥٥].

لو كان النبي عليه الصلاة والسلام مسغفرا لأمته بعد موته لاستغفر لعائشة المحبوبة إليه قبل كل احد، ولما قال: لها ذاك لو كان وأنا حي، فأسْتَغْفِرَ لَكِ وأَدْعُوَ لَكِ.

وكذلك هذا الحديث المعارض لما ثبت في الصحيحين مستلزم لمعان باطلة. منها:

⮌**الأول**: عدم حصول مذنب يوم القيامة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام لمحو الله له ذنبه باستغفار الرسول عليه الصلاة والسلام له، إذ؛ إن دعاءه مستجاب، لاعتقادكم استجابة الدعاء عند قبور الأولياء، قائلين: " إن الدعاء عند قبر ولي من أولياء الله ترياق مجرب " إذا كان الأمر كذلك فاستجابة دعاء سيد الأولياء وهو في قبره أولى في كونه ترياقا مجربا، إذ؛ كان علة استجابة الدعاء هو القرب والمجاورة لقبور الأولياء، إذن، فما بالكم باستجابة دعاء سيد الأولياء والانبياء وهو في داخل قبره؟ مع كون إمامكم الهرري مقررا بخلاف مضمون الحديث الذي استدللتم به على إثبات استغفار النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين من شر أعمالهم وهو في قبره، كما نقل عنه بعض طلبته قائلا: إن شيخنا عبد الله الهرري ينهى عن دعاء ﴿اللهم اغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات جميع ذنوبهم﴾ معللا بأن حكم الله تعالى سابق بأن يعذب بعض المؤمنين والمؤمنات لذا يحرم الدعاء بذلك. انتهى المقصود.

قلت: هذا معارض لمضمون ما أثبتموه في الحديث من قول رسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿وما رأيت من شر استغفرت الله لكم﴾، وكلمة ﴿ما﴾ موصولة تعم جميع الشر

---

[٥٥] أخرجه ابن حبان (٦٥٨٦)، بلفظ مقارب، ومسلم (٢٣٨٧)، وابن ماجه (١٤٦٥)، بنحوه.

بدون استثناء بحيث يحصل استغفار النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين من جميع شرهم، إذن، النبي عليه الصلاة والسلام يستغفر للمؤمنين من جميع شرهم، والهرري ينهى عن ذلك مع كون فعله هذا إساءة للأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع كون تقاريركم متعارضة.

والثاني: عدم حصول أهل الكبائر يوم القيامة وعدم دخولهم في النار وخروجهم منها بشفاعة الشافعين، لأنهم مغفورو ذنوبهم باستغفار النبي عليه الصلاة والسلام لهم وهو في قبره، وهذا يستلزم أن كل أمة محمد عليه الصلاة والسلام في الجنة دون أن يلحق بعضهم العذاب.

إذا قال الصوفي: فرارا من الإلزامات الواردة على ما قرره لا يستغفر النبي عليه الصلاة والسلام لأمته وهو في قبره من الكبائر، وإنما يستغفر لها من الصغائر، فقل له: إن الحديث وارد بصيغة العموم، حيث جاء فيه قوله: " وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ اللهَ لكم [٥٦]". ولفظ ﴿ما﴾ موصولة تفيد العموم كما تقرر في علم الأصول، إذن، الاستغفار الواقع في الحديث لا يختص بالصغائر، بل هو عام للأمرين، كما كان تحميده لله على ما رآه من خير من أمته عاما للخير كله، حيث جاء في الحديث نفسه ﴿فما رأيت من خير حمدت الله عليه﴾.

الأدلة التي يعارضها ما قرره الصوفي من أن النبي عليه الصلاة والسلام يستغفر لأمته وهو في قبره منها:

الدليل الأول: هو ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿إنَّ اللهَ تعالى يُدنِي المؤمنَ، فيضَعُ عليهِ كَنفَه

---

[٥٦] أخرجه البزار (٥/٣٠٨)

وسِتْرَه من النَّاسِ، ويُقرِّرُه بذُنوبِه فيقولُ: أَتعرِفُ ذَنبَ كَذا؟ أَتعرِفُ ذَنبَ كَذا فيقولُ: نعَم أَيْ رَبِّ، حتَّى إذا قَرَّرَهُ بذُنوبِه ورأى في نَفسِه أَنَّه قد هَلكَ، قال: فإنِّي قد سَترتُهَا عليكَ في الدُّنيا، وأنا أَغفِرُهَا لكَ اليومَ، ثم يُعطَى كتابَ حسناتِه بيمينِه. وأمَّا الكافرُ والمنافقُ فيقولُ الأشهادُ: هؤلاءِ الَّذينَ كذبوا علَى ربِّهم ألَا لَعنةُ اللهِ علَى الظَّالمينَ[57]﴾.

هنا سؤال منا للصوفي: هل يقرر الله المؤمن على ذنبه المغفور حتى يظن أنه قد هلك؟ والجواب: لا، لأن الذنب المغفور كالعدم، والعدم لا شيء، فكيف يغفر الله تعالى العدم؟ إذ، إنه قال في الحديث ﴿وأنا أغفرها لك اليوم﴾ أي: يوم القيامة مع سبق استغفار النبي عليه الصلاة والسلام من ذنب المؤمن وهو في قبره حسب تقرير الصوفي، إذن، إذا كانت مغفرة الله تعالى لذنب المؤمن تحصل يوم القيامة فما فائدة استغفار النبي عليه الصلاة والسلام من ذنب المؤمن وهو في قبره؟

والدليل الثاني: هو ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿يَقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: شَفَعَتِ المَلائِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وشَفَعَ المُؤْمِنونَ، ولَمْ يَبْقَ إلَّا أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فيُخْرِجُ مِنْها قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قدْ عادُوا حُمَمًا، فيُلْقِيهِمْ في نَهَرٍ في أفْواهِ الجَنَّةِ يُقالُ له: نَهَرُ الحَياةِ، فَيَخْرُجُونَ كما تَخْرُجُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ... الحديث. [58]﴾

نقول للصوفي: هل هؤلاء المخرجون من النار بالشفاعة كافرون أم مؤمنون؟ إن أجاب بالأول فنرد عليه بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [سورة المدثر: ٤٨] وإن

---

[57] أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) باختلاف يسير

[58] أخرجه البخاري (٧٤٣٩) باختلاف يسير

أجاب بالثاني فنقول له: ما فائدة استغفار النبي عليه الصلاة والسلام من ذنب المؤمن وهو في قبره في الحديث الذي استدللت به حتى يدخل المؤمن في النار؟

ونختم في تفنيد هذه الشبهة بسؤالنا للصوفي قائلين له: أين دلالة الحديث الذي استدللت به على جواز دعاء الأموات؟ إن قلت: هو في شق الحديث ﴿وما رأيت من شر استغفرت الله لكم﴾، فنقول لك: لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الشق من الحديث: اطلبوا مني أن أستغفر الله لكم، وإنما أخبر فيه مجرد الخبر قائلا: ﴿وما رأيت من شر استغفرت الله لكم﴾ هذا لا يعلو على كونه مجرد خبر إذن، انسد الباب أمامك.

ونقول له: أيضا ما فائدة سؤالك النبي عليه الصلاة والسلام أن يستغفر الله لك وهو في قبره مستغفر لك قبل سؤالك إياه باستغفاره ربك لك إذ؛ إنه تعرض عليه أعمالك فيستغفر الله لك من شرها حسب شق الحديث الضعيف الذي استدللت به؟ والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

ش٣٥: إذا قال لك الصوفي: أيها الوهابية إنكم مشركون بالله، لتجويزكم الاستغاثة بالحي، كما حكمتم علينا بالشرك، لتجويزنا الاستغاثة بالميت، إذ؛ إنكم قائلون: إن الاستغاثة عبادة، إذن، نقول لكم: فصرفها لغير الله شرك، سواء كان ذلك الغير حيا أو ميتا، وليس هناك أي سبب يجعل صرف العبادة لغير الله حلالا، بشرط أن يكون مصروف العبادة له حيا، وحراما بل شركا بشرط كونه ميتا.

الجواب: فقل له: هل الاستعانة من العبادات التي لا تصرف إلا لله أم لا؟ إن أجاب بالأول فقل له : قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٢] مثبتا التعاون بين العباد، وإذا أثبت الله التعاون بينهم فجواز طلب عون بعضهم من بعض ثابت، إذن، صار الله تعالى أول آمرين بالشرك حسب إلزامك لنا، وإن أجاب بالثاني فقل له : قال الله جل جلاله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥] ففي الآية حصر الاستعانة في الله تعالى، في قوله : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كما حصل فيها حصر العبادة، في قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إذن، نستطيع أن نستنتج من هذه الآية قولنا : ﴿ لا تكون الاستعانة إلا بالله﴾، كما نستطيع الاستنتاج منها قولنا : ﴿ لا تصرف العبادة إلا لله ﴾، قلت: إذا اتفقنا على هذا أعلى ماذا تحمل آية ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]؟ هل تحمل على تناقض الرب سبحانه؟ تعالى عن ذلك علوا كبيرا، أم تحمل على كونها محمولة على حصر الاستعانة في الله تعالى إذا كان الأمر مما لا يقدر عليه إلا هو، هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لتضافر الأدلة عليه، قال الله تعالى : عن ذي القرنين ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] الشاهد هنا طلب ذي القرنين العون من غير الله تعالى فيما أعطاهم الله فيه القدرة، والآية المتقدمة التي أفادت حصر الاستعانة في الله عز وجل هي فيما لم يعطهم فيه القدرة، وقد يقول لك الصوفي : هل هناك قدرة مؤثرة للعبد على شيء ما حتى تجعلوها مفرقة بين الاستغاثتين ؟ قلنا له: نعم له قدرة، الله معطيه إياها، مع جعله لها مؤثرة تأثير سبب في المسببات، لو لم يكن كذلك لكان طلب ذي القرنين العون من غير الله تعالى بقوله: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] شركا، إذ، تقدم الاتفاق بيننا وبينكم في إفادة آية ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة: ٥] حصر الاستعانة في الله جل جلاله، إذا كان الأمر كذلك فمن صرف الاستعانة لغير الله فقد

صرف لغيره ما خصه لنفسه، ومن صرف لغيره ما خصه لنفسه فقد أشرك به سبحانه، إذن، ذو القرنين صار مشركا بربه جل في علاه وأقره ربه على ذلك، حسب فهمكم الغوي .

وقد يقول لك الصوفي: أيضا إذا أثبتنا التأثير في قدرة العبد فسيلزمنا إثبات مؤثر آخر غير الله مع الله تعالى، وهذا تشبيه، والتشبيه شرك، فقل له: مجيبا عليه، هل تثبت بقاء وعدم فناء الإنس والجن في الآخرة؟ فسيقول لك: نعم أثبته بدون تردد، فقل له: إذن، صرت مشركا بالله تعالى، إذ، شبهت المخلوق بالخالق، لكون الله موصوفا بالبقاء، حيث قال في كتابه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]

وإن قال لك: إن البقاء الذي هو وصف للعباد في الآخرة مخلوق بعد أن لم يكن، وبقاء الله تعالى ليس كذلك، بل هو صفة ذاته، كما أن ذاته أزلية لا ابتداء لها، وثبوت صفة البقاء له سبحانه أيضا كذلك، فقل له: نقول لك: إن تأثير قدرة الله تعالى ذاتية أزلية لا ابتداء لها، بخلاف تأثير قدرة العبد، فتأثيرها سببي وليس ذاتيا، مع كونه مخلوقا مسبوقا بعدم، من هنا بان عدم الفرق بينما أثبته وبينما نفيته.

إذا قال قائل: أين وجه الإجابة على الشبهة الواردة من الصوفي؟ فنقول له: إن في الاستغاثة معنى الاستعانة، لكن الاستغاثة تمتاز بكونها في الشدة، بخلاف الاستعانة، مع وجود طلب العون فيهما، ما دام الأمر كذلك، فاختلاف الحكم بين الاستغاثتين أي: الاستغاثة بالحي القادر الحاضر والاستغاثة بالميت جلي كالشمس في رابعة النهار.

ونقول للصوفي: إن أبيت إلا الإصرار في عدم حصول الفرق بينهما مستدلا بقوله تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص: ١٥] فسوف نقول لك: أرنا أثر

استغاثتك بالأموات على أعدائك الذين تسميهم زورا وبهتانا بالوهابية ما دمت معتقدا عدم الفرق بين الاستغاثتين، كما وقع أثر استغاثة من استغاث بموسى عليه السلام على من استغاث عليه كما هو مفهوم الآية.

قال عبد الله الهرري في كتابه ﴿الصراط المستقيم﴾ ص {١٠١}: والكسب الذي هو فعل العبد وعليه يثاب أو يؤاخذ في الآخرة، هو توجيه العبد قصده وإرادته نحو العمل، أي: يصرف إليه قدرته فيخلقه الله عند ذلك، فالعبد كاسب لعمله، والله تعالى خالق لعمل هذا العبد الذي هو كسب له، وهو من أغمض المسائل في هذا العلم. انتهى المقصود.

قلت: إن هذا الكلام يوحي كون العبد مجبورا في أفعاله، وذلك لكون دوره فيها توجيه قصده وإرادته إليها فقط، إذن، نقول لمن هذا اعتقاده: هل توجيه القصد والإرادة عمل أم لا؟ إن أجاب بالثاني صار مضحكة للسفهاء فضلا عن العقلاء، وإن أجاب بالأول قلنا له إن خالق الأعمال هو الله تعالى وحده، وهذا متفق عليه بيننا وبينكم، إذن، فماذا يوجه العبد إلى هذا العمل؟ أي: عمل توجيه قصده وإرادته مع كونه عملا بنفسه إذ؛ إنكم قلتم في وجه كون العبد كاسبا لفعله هو أن يوجه قصده وإرادته نحو العمل، إذن، فما الذي يوجهه العبد إلى عمل قصد العمل؟ إذ؛ إن قصد العمل عمل، حتى يحصل خلق العمل من الله عند ذلك العمل الموجه إليه القصد والإرادة.

وكذلك هناك ما ينسف ما قرره الهرري مما ورد في الصحيحين من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ، فمَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ، إلى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إلى أضْعافٍ كَثِيرَةٍ، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ

يَعْمَلْها، كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللَّهُ له سَيِّئَةً واحِدَةً.

قلت: إن الحديث يثبت الهم فعلا قلبيا للعبد بغير نزاع، فما دام الامر كذلك، فما الذي يوجهه العبد إلى هذا الفعل القلبي ليخلق الله عمله عنده؟

وقول الهرري : ﴿ يصرف إليه قدرته فيخلقه الله عند ذلك ﴾ مصادم لكلام رسول الله عليه الصلاة والسلام في الحديث ﴿ فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ﴾ إذ، لم يخلق الله العمل عند قصد العبد الحسنة، لقول النبي عليه الصلاة والسلام ﴿ فلم يعملها ﴾ أي: فلم يخلقها الله تعالى، مع توجيه العبد قصده نحو العمل، لكون الهم قصدا، ما دام الأمر كذلك تقرر لدينا كون تأثير قدرة العبد في عمله تأثير سبب في المسببات بقوة مودعة من الله تعالى في تلك القدرة، لا تأثير خلق من العبد في أعماله، ردا على المعتزلة، ولا عند توجيه العبد القصد نحو العمل، ردا على الأشاعرة، وبهذا التحقيق تندفع الشبهة المذكورة وبالله التوفيق .

❖ ❖ ❖

هذا فقد تم بحمد الله وتوفيقه " تقرير عقيدة السلف الصالح وتفنيد شبه عباد القبور " وأسأل الله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين، ويجعله خالصا لوجهه موافقا لمرضاته إنه رؤوف رحيم.

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارزقنا علما نافعا نستنير به في كشف شبهات أهل الباطل، ونبين به منهاج النبوة لمن خفيت عليه حقيقة الأمر يا جواد يا كريم، ونسألك اللهم أن تجعل أعمالنا خالصة لوجهك، وموافقة لمرضاتك إنك ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

◆ ◆ ◆

كتبه العبد الفقير إلى ربه الغني القدير أبو حاتم خضر بن أحمد الخميسي الإثيوبي

وكان الفراغ منه ٧ / محرم / ١٤٤٧ هجريا

فهرس الكتاب

كلمة شكر وتقدير..٢

تقديم...٤

مقدمة الكتاب...٥

سؤال وجواب: ٦

س١: ما هو التوحيد؟ ٦

س٢: ما هو توحيد الربوبية؟ ٦

س٣: ما هو توحيد الألوهية؟ ٦

س٤: ما هو توحيد الأسماء والصفات؟...................... ٧

س٥: ما هو الشرك؟ ٧

س٦: هل هناك خالق غير الله مع الله؟...................... ٧

س٧: هل يجوز صرف العبادة لغير الخالق؟ ٧

س٨: ما هي العبادة؟ ٨

س٩: هل الدعاء عبادة؟ ٨

س ١٠: ما حكم صرف الدعاء لغير الله؟..................... ٩

شبهات وجوابها ١٠

ش١: إذا قال لك من لم يتقيد من الصوفية والأحباش لفهمه الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح: من هم السلف الصالح؟ ١٠

ش٢: إذا قال لك الصوفي أوغيره: لرد فهم السلف الصالح ما حكم فهمهم شرعا ؟ ١١

ش٣: إذا قال لك الصوفي: لجعل العقل قائدا، وإماما، ومصدرا لتلقي العقيدة، ما هو مصدر تلقي العقيدة في دين الإسلام؟ ١٢

ش٤: إذا قال لك الصوفي: مستنكرا للمعنى الصحيح للا إله إلا الله، ومثبتا لمعنى فاسد لها، ما معنى لا إله إلا الله؟.. ١٣

ش٥: إذا قال لك الصوفي: تمهيدا لإثبات جواز الاستغاثة بالأموات، إن الموتى يسمعون سماعا مطلقا، مستدلا بحديث أنس بن مالك قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: العبد إذَا وُضِعَ في قَبْرِهِ، وتُوُلِّيَ وذَهَبَ أصْحَابُهُ حتَّى إنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أتَاهُ مَلَكَانِ، فأقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ له: ما كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ؟ ..... الحديث. ١٤

ش٦: إذا قال لك الصوفي: هل الموتى يعلمون ما يقع في هذا الكون؟ استنكارا على من يقول بعدم علمهم. ١٧

ش٧: إذا قال لك الصوفي: إن الموتى يرون الأعيان الموجودة والأفعال الواقعة من الأحياء في الدنيا، وهم في قبورهم تحت الأرض، بدليل حديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت: كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبي، فأضع ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر،

الشاهد من الحديث حياء عائشة من عمر، لاعتقادها أنه يراها بما أنه في القبر، لو لم يكن كذلك فما علة حيائها منه ؟.. ٢٠

ش ٨ : إذا تقرر لدينا سماع الميت وعلمه ورؤيته كما سلف تقريره، إذن، يجوز لنا أن نستغيث بالأموات، بما عندنا دليل مستقل في هذا الصدد، ألا وهو قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ .....الآية ﴾ [القصص: ١٥] وحديث الأعمى الذي أخرجه الترمذي وغيره من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال : إن رجلا ضرير البصر أتى النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال : إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك، قال : فادعه، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء، اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في. ٢٦

ش٩: إذا قال لك الصوفي: إن النبي عليه الصلاة والسلام يستغاث به حيا غائبا وميتا بعيدا عن الأحياء، بدليل حديث أبي هريرة قال: قام فينا النبي عليه الصلاة والسلام، فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، قال: لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك ...... الحديث. متفق عليه. ٣٢

ش١٠ : إذا قال لك الصوفي: إننا ندعو النبي عليه الصلاة والسلام ونستغيث به طلبا أن يدعو الله لنا، لا طلبا مباشرا منه ما ندعو به، لما رواه ابن أبي شيبة وغيره من طريق أبي صالح عن مالك الدار وكان خازن عمر على الطعام، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في

المنام، فقيل له: ائت عمر، فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيون، وقل له: عليك الكيس عليك الكيس، فأتى عمر فأخبره فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه. ٣٥

ش١١: إذا قال لك الصوفي: إن لنا لدليلا قاطعا ثابتا عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، بسند صحيح إليه في مشروعية الاستغاثة بالأموات الصالحين فيما أخرجه البخاري في الأدب المفرد، قال: باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله، ثم قال: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن سعد قال: خَدِرَتْ رِجْلُ ابنِ عمرَ فقال لهُ رجلٌ اذكر أحَبَّ النَّاسِ إليكَ، فقال " مُحَمَّدٌ" ٤١

ش١٢: إذا قال لك الصوفي: عندنا دليل دال على مشروعية الاستغاثة بالأموات الصالحين، ألا وهو حديث ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إذا انفلتت دابةُ أحدِكم بأرضِ فَلَاةٍ فلينادِ يا عبادَ اللهِ، احبِسوا عَلَيَّ، يا عبادَ اللهِ احبِسوا عَلَيَّ، فإن للهِ في الأرضِ حاضرًا سَيَحْبِسُهُ عليكم﴾، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير. ٤٦

ش١٣: إذا قال لك الصوفي: هناك دليل لنا عليكم في الإتيان إلى قبور الصالحين قائلين: يا أولياء الله استغفروا لنا الله من ذنوبنا، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] مع ثبوت التجربة في ذلك، كما جاء في تفسير القرطبي، قال: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ .... الآية. ﴾ روى أبو صادق عن علي قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله عليه الصلاة والسلام بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام، وحثا على رأسه من ترابه، فقال: قلت: يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله، فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ .... الآيةَ﴾ وقد ظلمت نفسي، وجئتك تستغفر لي، فنودي من القبر إنه قد غفر لك. ٥٢

ش١٤: إذا قال لك عباد الأموات والغائبين من الصوفية: إن الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره من الأولياء كانوا يسمعون من ناداهم من بعيد بقدرة الله تعالى عند كونهم في قيد الحياة. ... ٦٠

ش١٥: إذا قال لك الصوفي: يجوز لنا قولنا: يا شيخ عبد القادر هب لنا أولادا مستدلين بقول الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩]؛ لأن الضمير المستتر ﴿هو﴾ في فعل ﴿أهب﴾ يعود إلى جبريل، وجبريل مخلوق، إذن، إذا جاز نسبة إعطاء الولد إلى جبريل فإنه يجوز في حق الشيخ عبد القادر وغيره من الأولياء، فلا مانع من ذلك. ٦٤

ش١٦: إذا قال لك الصوفي: إن الله تعالى أمرنا بأن نستعين بغيره، حيث قال في كتابه الكريم: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، لا شك في كون الصبر والصلاة غير الله قطعا، إذن، تجوز لنا استعانتنا بالأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين. ٦٧

ش١٧: إذا قال لك الصوفي: يجوز لنا قولنا: يا شيخ عبد القادر الجيلاني أغثنا، ليقربنا إلى الله، إذ؛ إنه من الصالحين المقربين إليه. ٧٠

ش ١٨: إذا قال لك الصوفي: تقسيمكم التوحيد إلى ثلاثة أقسام بما فيها توحيد الألوهية أمر مخترع، اخترعه ابن تيمية ليكفر المسلمين، دون أن يسبقه إليه أحد من الأئمة. ٧٣

ش١٩: إذا قال لك الصوفي: إن دعاءنا الأولياء لا يعتبر عبادة؛ لأن العبادة لا تكون إلا إذا كان معها غاية التذلل والخضوع، ونحن ما بذلنا غاية التذلل والخضوع لهم لما دعوناهم. ٧٦

ش٢٠: إذا قال لك الصوفي: إن ربنا لقادر على منح من نناديه من الأولياء القوة والقدرة على ذلك، لذا جاز دعاؤنا إياهم.. ٧٨

ش٢١: إذا قال لك الصوفي: نحن ما عبدنا ودعونا الأموات من الأولياء، وإنما ناديناهم، وهناك فرق بين الدعاء والنداء، من حيث إن الدعاء عبادة، والنداء ليس كذلك. ٧٩

ش٢٢: إذا سلم لك الصوفي بأن الدعاء والنداء أمران مترادفان في المعنى فسوف يقول لك: نحن ما دعونا الأموات من الأولياء طالبين منهم ما ندعو به، بل إنما ندعوهم ليدعوا الله لنا في حوائجنا. ٨١

ش٢٣: إذا قال لك الصوفي: بين دعائنا لغير الله ودعاء المشركين الأولين فرق، بحيث إننا ندعو الصالحين والمقربين إلى الله ليشفعوا لنا عنده، وهؤلاء يدعون الأصنام. ٨٣

ش٢٤: إذا قال لك الصوفي: إن الميت يعين وينفع الحي، بدليل انتفاع النبي عليه الصلاة والسلام بتوجيه موسى له في تخفيف عدد الصلوات، عند التقائهما في السماء في ليلة المعراج. ٨٦

ش٢٥: إذا قال لك الصوفي: إن هناك فرقا بين دعائنا الأموات وبين دعاء المشركين الأولين فيمن ينادونهم، بحيث إنهم يعتقدون الربوبية فيهم عند دعائهم إياهم، بعكس ما نحن فيه من دعائنا الأموات أو الغائبين من الأولياء. ٨٧

ش٢٦: إذا قال لك الصوفي: عندما تستدل على عدم وقوع الشرك من المشركين الأولين في الربوبية بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة الزمر: ٣٨] أين كلمة ﴿وحده﴾؟ وإنما قال الله: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] إذن، هذه الآية لا تفيد كون المشركين الأولين مخلصين في الربوبية. ٩٠

ش٢٧: إذا قال لك الصوفي: إن إقرار المشركين الأولين للربوبية كما في قوله تعالى: ﴿ولإن سألتهم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] إقرار لساني صادر منهم لإرضاء المؤمنين فقط، وليس قلبيا واعتقاديا صادرا منهم عن إرادة جازمة. ٩٣

ش ٢٨: إذا قال لك الصوفي: إن المشركين الأولين كانوا معتقدين النفع والضر في معبوداتهم مشركين إياها بالله في الربوبية، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [يس: ٧٤] ٩٥

ش٢٩: إذا قال لك الصوفي: يشترط في كون العبادة عبادة وجود نية التعبد فيها، ومثال ذلك: صلاتي بشروطها وأركانها وواجباتها بغير نية التعبد والتقرب إلى الله جل جلاله بها، فهذه لا تسمى عبادة لعدم وجود نية التعبد فيها، وكذلك استغاثتنا بالأموات من الأنبياء والصالحين ليس فيها نية التقرب إليهم والتعبد لهم، إذن، هذه أيضا ليست عبادة لعدم وجود نية التعبد فيها. ... ٩٧

ش٣٠: إذا قال لك الصوفي: إن هناك دليلا من القرآن على وقوع الشرك من المشركين الأولين في الربوبية، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧] ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية:١٨] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية:١٩] ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠] لو لم يكن لديهم شرك في ذلك لما خاطبهم بمثل هذا الخطاب. ١٠١

ش٣١: إذا قال لك الصوفي: إن المشركين الأولين كانوا طالبين المطر من النوء، بدليل ما ثبت في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله عليه الصلاة والسلام صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب. متفق عليه. ١٠٤

وهذا يدل على وقوع الشرك منهم في الربوبية الذي اقتضى عبادة آلهتهم، بعكس ما نحن فيه عند دعوتنا الأولياء من الأموات، بحيث إننا غير مثبتين الربوبية لهم مع عدم اعتقادنا ما نفعله تجاههم بأنه عبادة. ١٠٤

ش ٣٢: إذا قال لك الصوفي: إنكم معشر الوهابية تقولون: إن دعاء الأموات الصالحين شرك، لأنه دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا هو، فها هو ربيعة يسأل رسول الله عليه الصلاة والسلام ما لا تجري به العادة، وعلى عبارتكم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، قائلا: ﴿أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ﴾ بعد أن قال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿سلني﴾. أخرجه مسلم. ١٠٧

إذن، الحديث يفيد كون النبي عليه الصلاة والسلام حاملا لربيعة على وقوعه في الشرك حسب زعمكم بسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، إذ؛ قال له عليه الصلاة والسلام: ﴿سلني﴾ ما جوابكم عن هذا الحديث؟ ١٠٧

ش٣٣: إذا قال لك الصوفي: إن هناك أدلة تبين شرك المشركين الأولين في ربوبية الله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ..... الآية﴾ [الحج: ٤٠] وجه الدلالة من الآية هو من حيث كون إخراج مشركي قريش للصحابة من ديارهم بغير حق لقولهم ﴿ربنا الله﴾، إذن، مشركو قريش كانوا مشركين في ربوبية الله تعالى، ولو كانوا مخلصين لله فيها لما أخرجوا الصحابة من ديارهم، لانتفاء علة الإخراج. ١١٤

ش ٣٤: إذا قال لك الصوفي أو غيره: يجوز لنا نداء الأموات طلبا منهم أن يدعوا الله ويستغفروه لنا، بدليل ما اخرجه البزار من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام، حياتي خيرٌ لكم، تُحدِّثون

ويُحَدَّثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم، تُعْرَضُ عَلَيَّ أعمالُكم، فما رأيتُ من خيرٍ حَمِدتُ اللهَ عليه، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ اللهَ لكم﴾.. ١١٧

ش٣٥: إذا قال لك الصوفي: أيها الوهابية إنكم مشركون بالله، لتجويزكم الاستغاثة بالحي، كما حكمتم علينا بالشرك، لتجويزنا الاستغاثة بالميت، إذ؛ إنكم قائلون: إن الاستغاثة عبادة، إذن، نقول لكم: فصرفها لغير الله شرك، سواء كان ذلك الغير حيا أو ميتا، وليس هناك أي سبب يجعل صرف العبادة لغير الله حلالا، بشرط أن يكون مصروف العبادة له حيا، وحراما بل شركا بشرط كونه ميتا. ١٢٢

فهرس الكتاب.................................. ١٢٨

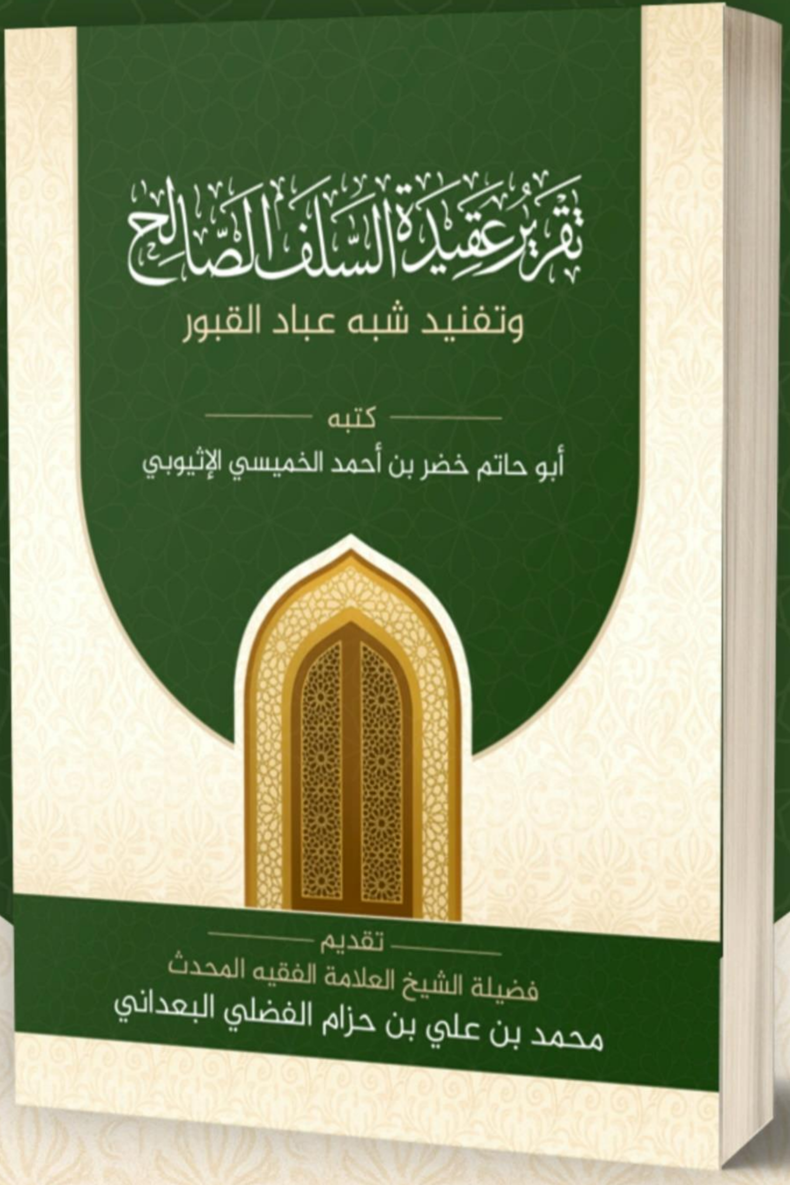

تقرير عقيدة السلف الصالح
وتفنيد شبه عباد القبور

كتبه
أبو حاتم خضر بن أحمد الخميسي الإثيوبي

تقديم
فضيلة الشيخ العلامة الفقيه المحدث
محمد بن علي بن حزام الفضلي البعداني

تقرير عقيدة السلف الصالح
وتفنيد شبه عباد القبور

صفر ١٤٤٧ هـ.